399

HARLEQUIN

روايات أحلام

خفقات في زمن ضائع

ديانا هاميلتون

www.rewity.com
marmoria5555

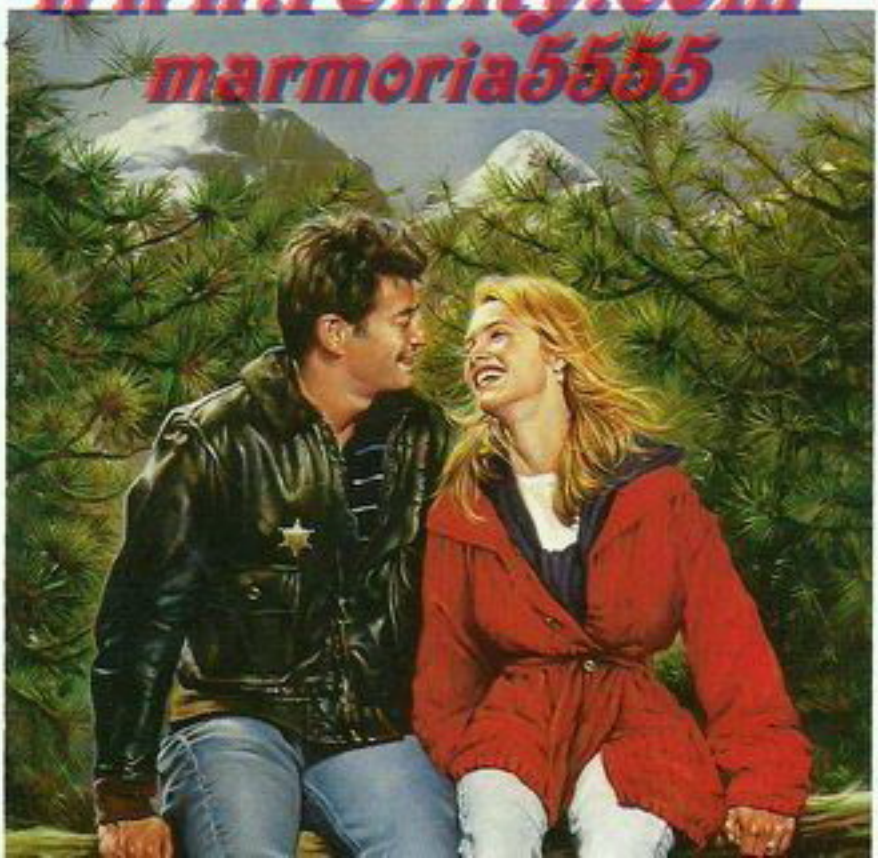

خفقات في زمن ضائع

بدت ليزا بينينغتون أكثر جمالاً مما يتذكر. فما زال وجهها الرائع مشرقاً ينضح بالجاذبية ...

منذ خمس سنوات، كان باستطاعة دييغو رافاكاني الحصول عليها، وهو من تراجع ...

الآن، بطريقة أو بأخرى، سيحصل على ما يريده منذ زمن طويل، وسيكتشف أسرارها الدفينة، ثم يرميها ويعيدها إلى حيث تنتمي ...

بدت نبرة دييغو تحمل معاني أكثر من العادة، حين قال بصوت ناعم كالحرير:

- لدي عرض لك، آنسة بينينغتون!

www.rewity.com

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س.	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-15-367-1

ديانا هاملتون

إنها فتاة رومنسية جداً والدليل على ذلك أنها وقعت في حب زوجها من النظرة الأولى. إنهما يعيشان حتى الآن في بيت أشبه بقصور الحكايات الخرافية، وفي هذا المنزل تربى أولادهما الثلاثة. تتقاسم العائلة منزلها الآن مع ثماني قطط أنقذوها من الشارع وجرو صغير. وعلى الرغم من هذه الحياة الصاخبة داخل المنزل، لا تستطيع ديانا أن تذكر وقتاً لم تكن فيه ممسكة بكتاب، إما تقرأه أو تكتبه، وهذا ما تنوي أن تفعله لوقت طويل بعد.

١ ـ الحب الخائن

إحساس عميق غامض سيطر على ليزا بنينغتون، هو مزيج من توتر منهك في أعصابها وأزيز قوي من الحماس جعلها تشعر بالغثيان.

بحثت أصابعها الطويلة في حقيبتها لتجد منديلاً ورقياً تمسح به العرق عن وجهها. كان العرق يتصبب منها كأنها عامل في منجم للمعادن. حاولت أن تقنع نفسها أن سبب ذلك يعود إلى حرارة شمس المغيب في إسبانيا، وقالت لنفسها إن عليها التخلص من ذلك كله، لأنها ستغدو كتلة مجردة من الحيوية والنشاط إن لم تستجمع قدرتها وتقوي ذاتها. وهذا يجب ألا يحدث مطلقاً.

عليها أن تبدو هادئة، رائعة وجميلة. إن لم يكن لأي شيء فمن أجل أن تبطل ردة فعل بن. وأخرجت من حقيبة مستحضرات التجميل؛ كريم الأساس الذي يخفف من سمرة بشرتها التي اكتسبتها خلال الأسابيع الثمانية الماضية، ظل للعينين فضي اللون ليُظهر بقوة حجم وشكل عينيها الزرقاوين الداكنتين؛ أما أحمر الشفاه القرمزي فيعطيها لمسة من الشجاعة.

طوال فترة عطلتها كانت تتجول مرتدية بنطلوناً قصيراً وقمصاناً قطنية خفيفة. لكنها هذه الليلة ارتدت فستاناً أنيقاً من الحرير يتماوج لونه بين الفضي والأخضر، آملة أن تبدو رفيعة الثقافة وذات خبرة في الحياة. فهي لا تستطيع الظهور في أحدث وأجمل فندق في ماربيلا وهي ترتدي تلك الخرق القديمة التي تملكها.

غداً ستعود هي وبن وصوفي إلى إنكلترا، بعد أن تنكشف لهم جميعاً نوايا دييغو. ارتجفت، وقد واجهتها موجة جديدة عنيفة من توتر الأعصاب.

دييغو، آه، كم تحبه! لا يمكنها أن تصف فعلاً مقدار شعورها. ففي الأسابيع السبعة الأخيرة أصبح عالمها كله، ومركز كل فكرة تطرأ على بالها، وكل نفس تتنشقه. هو أيضاً يحبها... هي تعلم أنه يحبها. معرفتها تلك هي أشبه بالعيش في عالم سحري رائع.

الليلة سيعلن ما يريده منها. وإلا لماذا اقترح عليها أن يلقاها مع رفيقي رحلتها بن وصوفي في المقهى، في هذا الفندق الفاخر؟

إنه يعلم كم هما مقربان منها، فهما الابن والابنة التوأمان لشريك والدها في العمل. لقد كانت دائماً صديقة لهما، لاسيما بعد وفاة والدتها منذ أربع سنوات مضت، حيث اعتنيا بها وضماها تحت أجنحتهما بعناية ومحبة.

عقدت ليزا أصابعها، وأخذت تصلي متمنية أن يجري اللقاء بهدوء وودٍ، وألاّ يصدر عن بن أي تصرف يسيء إلى كبرياء دييغو الإسبانية التي تدفعه إلى عدم المغفرة والتسامح أبداً. لن تستطيع تحمل فكرة أن يكون الأشخاص الثلاثة الذين هم أكثر من تحب في هذا العالم على وشك القتال مع بعضهم.

رفعت كتفيها وشعرت بملامسة شعرها الأشقر الطويل الناعم كالحرير لبشرة ظهرها. خاطرت بإلقاء نظرة خاطفة على ما يحيط بها، كان بن يتجول في مكان قريب، وهو على ما يبدو، يراقب السيارات الفاخرة التي تمر أمام البحر الرائع الجمال.

لم يكن ينظر إليها، لكنها تعلم أن ملامحه الوسيمة ستتكمش بازدراء إن استدار ونظر إليها.

إنه في العشرين من عمره وهو يكبرها بسنتين فقط. مع ذلك كان يتصرف أحياناً وكأنه جدها! تنهدت ليزا وهي تتذكر تعليقاته اللاذعة عندما اعترفت له ولصوفي أنها قابلت شخصاً مميزاً، وذلك لتبرر عدم قضائها معظم الوقت معهما.

توهج خداها، وشعرت بالتعجب لأنها وجدت حب حياتها في

إسبانيا، في حين أنها لم تكن ترغب أبداً بالقدوم إلى هنا، بل كانت ترغب بقضاء فرصتها السنوية بالتسوق في أوروبا. يومها أخبرتهما أن اسمه دييغو رافاكاني، وأضافت من دون داعٍ لذلك أنه إسباني الأصل. لكنها لم تذكر أنه الشخص الأكثر وسامة على سطح هذا الكوكب، بسبب دقات قلبها التي تتسارع بجنون كلما فكرت فيه.

رماها بن بنظرة من تحت حاجبيه، ما أعلمها أنها ستتعرض للتو إلى محاضرة.

- كم يبلغ هذا الشاب من العمر؟ بما أنكما تمضيان كل الأيام معاً، أفترض أنه عاطل عن العمل أيضاً!

رفعت ليزا ذقنها بكبرياء، وقالت تدافع عنه: «افتراضك خاطىء. دييغو يعمل معظم الأمسيات في أحد مطاعم ماربيلا، ولهذا هو حر في قضاء أيامه معي. وإذا كنت حقاً مهتماً للأمر، فهو في الثانية والعشرين من عمره».

أكبر منها بأربع سنوات فقط، وهو وسيم بشكل لا يوصف، رشيق، رياضي الجسم، ويجعل قلبها يذوب من الشوق لمجرد النظر إليه.

قال بن بفظاظة: «إذاً، لقد وقعت بين براثن نادل إسباني. ما هذه الصيغة المبتذلة التي تتكرر على الدوام؟!».

ضحكت ليزا بصوت عالٍ، ولن يسامحها بن على ذلك، فهي تعلم أن بن يضع دائماً النقاط على الحروف. استعادت بمخيلتها ذلك اليوم منذ ثلاثة أسابيع مضت. لقد أمضت الأسبوع الأول هنا منشغلة بما يفعله صديقاها. كانوا ينزلون التلال من المزرعة المخصصة للعطل، والتي استأجروها لأنها المكان المناسب للقيام بكل النشاطات. وقد فعلت كل ما يسعد بن وصوفي؛ اللعب بالغولف، التبضع والتسوق، شرب القهوة في المقاهي الموجودة على الأرصفة، واكتشاف كل الأماكن الفخمة وأحدث ما يتعلق بطبقات المجتمع العليا قرب منطقة بورتو بانوس.

في ذلك اليوم المحدد نقضت الاتفاق معهما، وقد شعرت بالملل.

فضلت أن تمضي بعض الوقت وهي تكتشف التلال القريبة والمناطق الريفية المحيطة بها على قدميها. ارتدت بنطلوناً قصيراً وقميصاً صفراء اللون قصيرة الأكمام تناسبه، وحذاء رياضياً مريحاً.

سمعت أزيز دراجة نارية، فيسبانو، كما يدعوها دييغو، لكن حركتها أتت متأخرة جداً. التقيا عند منعطف في مكان شديد الانحدار في طريق ضيقة. تراجعت ليزا وسقطت إلى الوراء على مرجة من الأعشاب البرية، أما الشاب الإسباني الوسيم فسارع إلى إيقاف دراجته على أرض مليئة بالحصى، فانزلق إلى جانب الطريق مترنحاً.

قفز الشاب عبر الفسحة الضيقة، وساعدها بلطف لتقف على قدميها. نعم! لقد التقطها بالمعنى الحرفي للكلمة! رفعت نظرها إلى تينك العينين الغامضتين المليئتين بالاهتمام، ورأت ملامحه الأرستقراطية. الكبرياء والجسارة بدتا واضحتين في ذلك الجسم الأسمر الطويل والذي ينم عن تكامل ووسامة وجاذبية لا تقاوم.

كان يرتدي بنطلوناً من الدنيم ذا جيوب كبيرة، يلتصق بوركيه الضيقين، وقميصاً سوداء قديمة تحول لونها إلى رمادي. شعرت كأنها مشلولة بالكامل، وكأن قلبها يقفز إلى حلقها ثم يتخذ سبيلاً لولبياً ليهبط بطريقة مدمرة نحو معدتها.

التقت عيونهما بينما راح الشاب يؤكد لنفسه أنها لم تصب بأي أذى. بدأ يصوغ أسئلته بنعومة وبلكنة إنكليزية خفيفة، وقد لمعت أهدابه السوداء المغطاة برموش كثيفة، كأنها ترسل رسائل متهورة صامتة إلى عينيها الزرقاوين الواسعتين. يداه القويتان والثابتتان اللتان أحاطتا بكتفيها النحيلتين أرسلتا إحساساً بطيئاً وألماً عميقاً ناعماً لا يحتمل في داخلها.

هكذا بدأت الأمور بينهما... وهي لن تسخر مطلقاً بعد اليوم من فكرة الوقوع في الحب من النظرة الأولى.

أطلق بن تنهيدة قلقة، بينما راح يراقبها وهي تُعد قهوة الصباح فيما

صوفي تضع بعض الإجاصات الطازجة على صحن في وسط طاولة الفطور. قال بصوت منخفض: «كل فتاة يمكنها قضاء عطلة رومانسية مرة في حياتها، طالما بقيت الأمور ضمن نطاق السيطرة».

تابع سيره وقد ازداد وجهه تجهماً: «لم تخرج الأمور عن نطاق السيطرة، أليس كذلك؟».

وكأنها ستخبره! ولكن لا، لم تخرج الأمور عن السيطرة. فلمسات دييغو وعناقه تُشعرها كأنها وسط ألسنة من النار، لكنه يبتعد عنها دائماً في اللحظة المناسبة. وقد شرح لها بصوته الناعم الجذاب قائلاً: «أنت يافعة جداً، عزيزتي. يوماً ما ستصبحين عروسي. وحتى ذلك الوقت، يا ملاكي، براءتك هي أغلى ما لدي».

قالت بصوت مرتجف مليء بالعاطفة، وقد شعرت بغصة في حلقها: «هل هذا طلب زواج؟».

هذا هو كل ما أرادته يوماً... وكأنها تعيش في قصة من نسج الخيال...

- بالطبع عزيزتي. فأنت ملاكي، وأنا أحبك من كل قلبي وبكل صدق.

لمس بإصبعه حدود شفتيها الجميلتين بنعومة، ما جعلها ترتجف. بالكاد استطاعت أن تتكلم وقد غمرتها موجة من السعادة العارمة، لكنها قالت وهي مقطوعة الأنفاس: «متى؟».

أجاب برقة: «عندما يصبح الوقت مناسباً، حبيبتي. وعندما تتخرجين من الجامعة».

قالت بسرعة: «هذا يتطلب سنوات طويلة!».

ابتعدت عنه وهي تشعر بالصدمة. لقد قدم لها الجنة، والآن ها هي تراها تنزلق بعيداً عنها كأنها مياه تتسرب من ثقب كبير.

أمسك بيديها وقال: «ليس هناك من نهاية لحبنا، الوقت لن يغير ذلك».

ابتسم لعينيها بدفء وحنان، وتابع: «أنا أيضاً لدي أشياء عليّ القيام بها. سيمر الوقت بسرعة، أعدك بذلك. ستحظين بكثير من العطل، وسأخبرك أين أكون فتأتين إلي».

اتسعت ابتسامته لتصبح ابتسامة ساخرة وقال: «لديك أب غني جداً، وسيدفع لك تكاليف سفرك».

سحبت يديها من يديه، وقطبت جبينها رافضة الكلام لما تبقى من ذلك النهار، لو أنه يحبها كما تحبه ما كان لينتظر...

بقاؤها مستيقظة في تلك الليلة جعلها تضع أفضل خطة ممكنة. ستعود إلى بريطانيا في نهاية عطلتهم كما كان مقرراً، وستسوي الأمر مع والدها. لطالما كان والدها بعيداً عنها، ولا يهتم بمكان وجودها طالما لا تسبب له أي إزعاج. ستمضي ما تبقى من عطلتها السنوية هنا مع دييغو. في نهاية السنة سيصبحان مقربين جداً، ويعشقان بعضهما بقوة لدرجة أنه لن يستطيع بعدها تحمل فراقها، ولن يسمح لها بالرحيل.

- هل فكّرت بالأمر جيداً؟

سؤال بن أعادها إلى أرض الواقع، إلى المطبخ في المزرعة. كان ذلك منذ أربعة أسابيع مضت. أخذ من يدها فنجان القهوة الذي سكبته له وتابع: «أفترض أنك أخبرته من تكونين؟».

- بالطبع هو يعلم من أكون.

لم يكن لسؤال بن أي أهمية إلى أن فسر ما يقصده.

- أي أن والدك شريك في مجلة شهرية لامعة. وأننا ننشر «لايف ستايل»، وهي من أهم المجلات وأكثرها شهرة في الأسواق، وبأن عائلتينا لديهما الكثير الكثير من الأموال؟

علقت ليزا بلطف: «ها هو المحاسب يتحدث الآن!».

كان بن قد أنهى للتو دراسة فصل في الأعمال الحسابية، وعند عودتهم مباشرة إلى إنكلترا في نهاية عطلتهم سينضم إلى قسم المحاسبة في «لايف ستايل».

رد بن عليها بهدوء ولطف: «لا! الآن يتحدث صديق قديم، يهتم كثيراً بشأن سعادتك. ماربيلا هي مركز هام جداً للأثرياء. وهي تجذب الرجال المتملقين وصائدي الفرص كما تجذب النار الفراشات. هؤلاء الرجال يتقربون من النساء الثريات لكي يحصلوا على مبتغاهم. هل تمكن صديقك النادل الإسباني من الحصول على أي شيء منك بالتملق أو بطريقة ما؟».

- بالطبع لا!

لكن ليزا أدركت أن خديها يشتعلان من الشعور بالذنب. قالت لنفسها محاولة تبرير تصرفاته إنه لم يحصل على تلك الساعة الغالية الثمن منها بالتملق، فذلك أمر بعيد عنه. لقد أضاع ساعته، وأخبرها أن الطوق قد انقطع بدون أن يلاحظ. ولم يفتقدها إلا حين نظر إلى رسغ يده ليتأكد أن الوقت قد حان لمغادرة المكان المنعزل على الشاطىء الذي أخذها إليه.

في ذلك المساء، وبينما كانت صوفي مع بن ينظران بإعجاب إلى اليخوت التي تساوي ملايين الدولارات في حوض لرسو السفن، غادرت خلسة لتشتري له بديلاً عنها. كانت تعلم أنه لا يملك ما يكفي من المال لشراء واحدة، فأجر النادل زهيدٌ جداً، وهو لن يكتب لأهله ليقول لهم إنه بحاجة إلى ساعة...

بحكمة بدلت الموضوع قائلة: «دييغو لا يحب ماربيلا، فنحن لم نذهب إلى هناك أبداً. وهو يقول إنها مليئة بالبهرجة، وهي لا تشبه إسبانيا الحقيقية بشيء. نحن نذهب إلى القرى المنتشرة على التلال الجميلة، أو نسير بعيداً عن الطرقات المكتظة قرب الشواطىء».

إنها تحب بن كأخ لها، لكنها شعرت في تلك اللحظة بالكره نحوه لأنه يلمح إلى أن حبيبها دييغو يهتم بها فقط من أجل ما يستطيع الحصول عليه منها. ولا رغبة لديها أبداً في أن تحدثه عن الساعة المطلية بالذهب التي أهدتها إليه.

www.rewity.com
memoria555

حاولت صوفي أن تزيل التوتر بين صديقتها وأخيها، فما إن عادت إلى الطاولة ومدت يدها إلى رغيف الخبز الجاف ووعاء العسل حتى قالت: «إذاً، متى سنقابله؟».

لم تجب ليزا، إذ لم يكن لديها أي جواب عن سؤال صديقتها. لقد اقترحت مرة على دييغو أن يجتمعوا هم الأربعة، لتعرّفه على أعز وأفضل صديقين لها، لكنه أكد لها أنه رجل أناني وهو يريدها لنفسه فقط.

والآن ها هم أخيراً في طريقهم لمقابلته، وذلك بناء على اقتراح منه.

جاء تعليق بن قاسياً وجافاً جداً: «لقد اختار أكثر الملاهي فخامة في المنطقة. أتساءل من الذي سيدفع ثمن الشراب والطعام الذي سنتناوله».

اقتربوا من المكان الذي سيتم فيه اللقاء، وهو فندق مطلي باللون الأبيض، يطل على الشاطىء المتعرج المليء بأشجار النخيل الباسقة.

امتلأ قلب ليزا بعاطفة قوية. شعرت أن الأمور ستسير على خير ما يرام وفكرت أن هذا بالضبط ما يجب أن يحدث. عندما يدرك بن مدى روعة دييغو وتميّزه سيتراجع عن كل كلمة مهينة أو حتى تلميح قاله عنه.

بطريقة ما استطاعت ليزا أن تتفهم تحفظاته، فمنذ أن كانوا أطفالاً وهو دائم الاهتمام بها، وما زال يفعل ذلك. قد يكون لنحافة ورقّة جسمها علاقة بذلك، فهي متوسطة القامة، رقيقة العظم، نحيلة برقة وأناقة، ولديها عينان واسعتان. لو أن بنية جسمها تشبه بنية صوفي؛ طويلة وممتلئة الجسم لكانت لديه ثقة أكبر بقدرتها على الاهتمام بنفسها.

هذا لا يعني أن رأيه سيشكل أي فرق بالنسبة لما تشعر به تجاه الرجل الذي صممت على الزواج به. لكنها لا تريد أن تتشاجر مع بن، فهو عزيز جداً عليها.

صرخت صوفي: «بن، ليزا... تعالا وانظرا إلى الداخل».

اقتربت صوفي من متجر للثياب النسائية وهو نوع المحلات المفضل لديها، ونظرت إلى الداخل وقد التصق أنفها بالزجاج.

- هل سأبدو جميلة بهذا الثوب؟

أرادت أن تأخذ رأي أخيها في الموضوع، فاستدار بن ليعود ويقترب من أخته وهو يبتسم. بينما وقفت ليزا في مكانها، منشغلة بما فيه الكفاية كي لا تتأوه أو تتأسف على أي شيء تتمناه صوفي وتشتهيه.

نظرت إلى ساعتها المصنوعة من البلاتين، وهي هدية والدها لها في عيد ميلادها الثامن عشر. لطالما اعتقد والدها أن الأشياء المادية تعوّضها عن أية عاطفة أبوية. لاحظت أنه ما زال أمامهم ثلاثين دقيقة قبل أن يجتمعوا بدييغو. شعرت ليزا بأنها أطول ثلاثين دقيقة في حياتها.

بدأت البلدة تكتظ بالسائحين، وتزايد عدد الذين يتجوّلون على الأرصفة راغبين في التفرج على كل شيء. كما تزايد عدد السيارات المتجولة. إلاّ أن سيارة واحدة بالذات أثارت انتباهها؛ سيارة رياضية مكشوفة قرمزية اللون تقودها امرأة فاتنة، تبدو كأنها خرجت للتو من غلاف مجلة تعرض أفخر الأزياء وأثمنها. لكن الشخص الذي كان برفقتها هو من جعل عينيها تتسعان وتحدقان... أهو دييغو؟ مستحيل!

إنه فعلاً دييغو، بشعره الداكن الأسود الكثيف المصفف بطريقة جيدة، مرتدياً بذلة من الشينو وقميصاً مفتوحة عند العنق ذات لون فاتح مناسب للبذلة، يبرز لون بشرته السمراء، بدلاً من تلك السراويل القصيرة والقمصان القطنية التي اعتادت على رؤيته يرتديها.

هدرت السيارة وتوقفت في مكان لا يسمح فيه بوقوف السيارات، أمام متجر للمجوهرات.

أبعد دييغو ذراعه عن ظهر المقعد وخرج من السيارة.

من الواضح أنه اهتم كثيراً بمظهره من أجل لقائهم في الفندق، فهو يبدو وسيماً جداً. يا لدييغو الغالي! لقد وصل قبل الموعد بنصف ساعة مثلهم. لا بد أن المرأة الثرية قد رضيت بنقله وهي في طريقها إلى هنا. من المحتمل أنها تقيم في الفندق الذي يعمل فيه، وقد تعرفت عليه كنادل يخدم الطاولة التي تجلس إليها عادة، لذلك أقلته معها.

لمع هذا التفسير في فكرها، ما جعلها تشعر بالارتياح.

كادت تصرخ باسمه وتلوّح له كي تجذب انتباهه، لكنها لم تفعل. رأته يسير حول السيارة إلى الجانب الآخر، ثم يفتح الباب من جهة السائق ويساعد المرأة الفاتنة لتخرج وهو يمسك بيديها:

بدت المرأة فاتنة حقاً! كانت تنتعل حذاء ذا كعبين عالين، وهكذا لم تكن أقصر منه إلا بثلاث إنشات. لاحظت ليزا أن حاشية ثوبها الأسود الحريري تصل إلى ما فوق ركبتيها، والقماش الغالي الثمن يلتصق بجسمها ما يجعل من الصعب على الناظر ألا يحدق بها. أمّا ذراعاها العاريتان فكانتا تلمعان على ما يبدو، بأساور تزيد عن نصف طن من الذهب.

انزلقت اليدان المليئتان بالمجوهرات من بين أصابعه وارتفعتا لتمسكا بوجهه بينما كان منحنياً نحوها. قالت المرأة شيئاً ما، فالتوت شفتاه بابتسامة ساخرة تعرفها ليزا جيداً. توقف قلبها عن الخفقان ما إن انحنت المرأة عليه، وطبعت القبل على خده الناعم ثم على الخد الآخر قبل أن تبعد رأسها الجميل اللامع إلى الوراء. ضحكت له المرأة ثم قادته بيده إلى المدخل الأنيق لمتجر المجوهرات.

ما إن عاد قلبها المحطم يخفق من جديد حتى شعرت ليزا كأنها تحترق من شدة الحرارة، ثم شعرت ببرد تحول إلى إحساس بالجليد. ضاقت أنفاسها وشعرت بدوار قوي. لا بد من وجود تفسير واضح وملائم لما شاهدته للتو. لم تستطع التفكير بأي شيء آخر. حاول عقلها المشتت والمرهق من الدوار أن يجد تفسيراً ما. وعوضاً عن ذلك ذكرها عقلها أن الزبائن الأثرياء لا يتجولون مع الخدم ولا يقبلونهم إلا إذا كان هناك الكثير من الود والعلاقة الحميمة بينهم. ثم تذكرت خيبة أملها وعدم تصديقها، عندما أخبرها البارحة أنه لن يتمكن من لقائها في صباح اليوم التالي.

قال لها: «لدي أعمال أقوم بها، لكننا سنلتقي عند المساء».

لو كانت أصغر بعدة سنين من عمرها الحالي لأثارت شجاراً بينهما. لكنها حين سمعته تصرفت وكأنها بالغة جداً وبإمكانها تحمل الحرمان من

رفقته في اليوم الأخير لها في إسبانيا.

أرادت أن تفاجئه بعودتها بعد أن تقنع والدها بقضاء عطلتها في ماربيلا. لذلك تصرّفت بهدوء وبالكاد هزت رأسها وهي تقول: «إذاً، سأراك لاحقاً».

وكأن عدم رؤيته خلال النهار لن تسبب لها أي إزعاج!

هل كان يقصد بالأعمال إيجاد فتاة بديلة لها؟ إن كان ذلك ما قصده، فلا بد أنه أصاب الجائزة الكبرى وحقق نجاحاً باهراً.

ارتجفت، وابتلعت بغصة الإحساس بالألم الذي تشعر به. كرهت نفسها لمجرد التفكير بأن أمراً كهذا محتمل الحدوث. فركت جبهتها بيدها الرطبة. إنه ذنب بن، فهو من وضع في رأسها فكرة الشاب الإسباني الوسيم المحتال الذي يبحث عن النساء الثريات الوحيدات لقضاء أيام العطلة معهن، والحصول على ما يستطيع الحصول عليه منهن.

- هل تحاولين أن تقفي كالتمثال؟

مررت صوفي ذراعها تحت ذراع ليزا وتابعت: «كان عليك أن تري تلك البذلة، فهي رائعة! لكن بن قال إن اللون الأسود لا يناسبني، وإنه علي أن أعيش وأنام وأنا أرتديها لمدة خمسين سنة كي تستحق المال الذي سأدفعه ثمناً لها».

قالت ليزا بغضب ساخط: «المحاسب النموذجي الممل!».

ما زالت غاضبة منه لأنه جعلها تشك، ولو للحظة فقط، بحبيبها الرائع دييغو.

عنّفتها صوفي بلطف قائلة: «أنت بالتأكيد لا تقصدين ما قلته».

سارتا ببطء، وذراع صوفي ملتفة حول ذراع صديقتها، واقتربتا من الردهة الواسعة للدرج الذي يوصل إلى بهو الفندق.

- أنت تعلمين أنه لا يستطيع إلا أن يكون عملياً، تماماً كما لا تستطيعين أنت إلا أن تكوني حالمة. والآن، هيا ابتهجي. فما هذا الوجه العابس! لا أستطيع الانتظار لأرى حبيبك دييغو. يبدو أنه جاد بعلاقته

معك طالما أنه أراد رؤيتي ورؤية بن في آخر ليلة لك في إسبانيا.

ضغطت على ذراع ليزا بعطف وحماس وتابعت: «طلبت من بن ألا يقول أية كلمة تثير غضبك، لكنك تعلمين كم يبالغ في حمايتك. قلت له: «بما أن والدك ليس هنا فإن دييغو قد يطلب منه الإذن ليتمكن من زيارتك في إنكلترا».

أو ليتمكن من الحصول على وجبة مجانية من الطراز الأول مع أنواع فاخرة وعديدة من المشروبات كحفلة مرح أخيرة. كرهت ليزا هذه الفكرة المزعجة التي قفزت إلى رأسها تماماً كما كرهت عدم قدرتها على التخلص منها. شعرت بالنفور والاشمئزاز من بن لأنه عمل على وضعها في رأسها منذ البداية، فطردتها من رأسها بقوة.

فكرت أن دييغو لا يحب الطعام الفاخر ولا المشروبات الغالية الثمن. كان دائماً يأتي مزوداً بغداء للنزهة في الأيام التي أمضياها معاً. وكان الطعام مقتصراً على الخبز الجاف والزيتون والفواكه والماء. طعام بسيط، رخيص، وصحي...

علق بن ما إن أصبح قربهما على الدرج: «وصلنا قبل الوقت بقليل».

ثم نظر إلى الأبواب المتحركة الفخمة ذات الزجاج الضبابي.

رفعت صوفي كتفيها وقالت: «وإن يكن؟ سنجلس في الردهة الداخلية لنشعر بالبرودة والراحة، فنتسلى بمراقبة الناس؟».

سارت عبر الأبواب، وتبعتها ليزا متمنية أن تمر تلك الدقائق البطيئة، لتتخلص من ذلك اليأس المميت. لن تشعر بالارتياح قبل أن تقابل دييغو وتسأله ماذا كان يفعل مع تلك المرأة الجميلة الجذابة، ولماذا سمح لها أن تقبله. ولماذا اختفيا في محل المجوهرات معاً.

كانت تشعر بيأس كبير لتسمع تفسيراً كاملاً ومقبولاً لذلك كله.

بدا كأن الوقت يمر ببطء في تلك القاعة المكيفة، ذات الأعمدة المزينة والثريات التي تدل على غنى فاحش.

جلست ليزا وقد أدارت ظهرها إلى القسم الرئيسي في القاعة، بينما

جلست صوفي في مواجهته لتتمكن من مراقبة القادمين والخارجين من الزبائن الأثرياء.

قالت صوفي وهي تضحك: «والآن، ما رأيكما بهذين العاشقين! انظرا... هناك، بجانب مكتب الاستقبال. استديري وانظري للحظة. لا بد أن هذا يوم سعده».

أجبرت ليزا نفسها على الالتفات، فهي مستعدة للقيام بأي شيء لكي يمر الوقت بسرعة، ولتمنع صديقاها من التساؤل عمّا حدث لها، ولماذا تلبس هذا الوجه الذي وصفاه وهما يسخران منها بالوجه المأساوي.

إنه دييغو وتلك المرأة!

ارتجفت ليزا غير مصدقة ما تراه. شعرت بأصابع باردة مؤلمة تلتف بقوة حول قلبها. ما رأته أمامها مسح كل لحظة جميلة عاشتها في الأسابيع الماضية. امتلأت عيناها بالدموع، فرمشت لتتخلص منها. كان دييغو يضع يده على خصر المرأة بينما يحمل بيده الأخرى علبة صغيرة للمجوهرات، ثم رأته يضع العلبة في جيبه. هل هو خاتم من الذهب ليناسب الساعة التي اشترتها له؟ هل اشترت له هذه المرأة الجميلة ذات الشعر الأسود تلك الثياب الأنيقة التي يرتديها؟

رفعت صاحبة السيارة الرياضية القرمزية اللون جسمها لتهمس بأذنه كلاماً ما؛ كلاماً جعله يبتسم تلك الابتسامة العريضة الجارحة التي تظهر سعادته. هي تعرف ابتسامته جيداً.

ارتفعت ذراعها النحيلة المليئة بالأساور الذهبية وتدلّى من أصابعها المليئة بالخواتم مفتاح لغرفة في الفندق، وذلك قبل أن تستدير وتبتعد متمايلة نحو المصاعد. كانت تسير بثقة كاملة تظهر بوضوح في كل حركة من حركات جسمها الرشيق وساقيها الطويلتين.

استمر دييغو في مراقبتها وهو يبتسم، بعد ذلك استدار وسار على مهل باتجاه مكتب الاستقبال.

همست صوفي: «أنهما يعيشان قصة حب، أليس كذلك؟».

استجمعت ليزا كل ما لديها من قوة لتتمكن من عدم إظهار التأثر على وجهها وهي تستدير لتواجهها.

استمر بن في النظر إلى ساعته بفقدان صبر، فقالت ليزا، وهي تحاول ألا تظهر انهيار عالمها أمامها وتبعثره إلى أجزاء بشعة مشتتة: «لنذهب ونشرب شيئاً ما. سئمت من الجلوس هنا».

وقفت على قدميها لتمنع أي اعتراض من صوفي التي بدت مستمتعة بمراقبتها الناس. تبعها بن لكنه أصر على الذهاب إلى المطعم، مع أن ليزا كانت مقتنعة أن دييغو لن يحضر. لماذا سيأتي؟ فمن الواضح أن لديه فرصة أفضل يعمل عليها!

خيانته كانت صعبة جداً وضخمة، لدرجة أنها لم تستطع تحمّل التفكير بها. وهي لا تستطيع أيضاً أن تبعد صديقيها عن المكان من دون الاعتراف أن بن كان محقاً بشأن دييغو.

دخلوا إلى الملهى حيث بدت الموسيقى صاخبة والناس يرقصون على وقع الطبول.

قالت صوفي: «هيا! لنمرح قليلاً، فهذه آخر ليلة لنا هنا».

مرّت عشر دقائق على الموعد المحدد، ودييغو لم يحضر بعد. أخذت ليزا تحثّ نفسها لتخبرها الحقيقة، وتعترف أن بن كان محقاً بشأن النادل الإسباني. راقبها بن وهي تضع كوبها جانباً على الطاولة الصغيرة فابتسم لها وقال: «أتريدين أن ترقصي، ليزا؟».

كانت ترغب في الرقص تماماً كما ترغب في الجلوس في برميل من القطران الحار، لكن أي شيء هو أفضل من الجلوس هنا قلقة، راغبة في البكاء. أرادت أن تضع يديها على دييغو وتخنقه، بعد أن تسأله كيف تمكّن من التصرّف بقسوة هكذا.

أمسكت بيد بن ونهضت على قدميها. شعرت بالدوار وبدلاً من الرقص أمامه كما يفعل كل الراقصين، تمسكت بكتفيه وشعرت بالامتنان عندما وضع يديه على خصرها. رفع صوته لتتمكن من سماعه رغم صوت

الموسيقى المرتفع وهو يقول: «ما الأمر، ليزي، هل تشعرين بالدوار؟».

كادت أن تضحك، أو أن تبكي... شعرت بغصة في حلقها. فكرت أن تدفن رأسها في كتفه العريضة وأن تعترف له بكل ما عندها... عندها رأت دييغو يصل... قال شيئاً ما لصديقته الجديدة الفاتنة التي رمته بغمزة متآمرة، قبل أن تتوجه إلى الناحية الأخرى من الملهى.

كيف يجرؤ على القيام بذلك؟ كيف يمكنه أن يفعل ذلك؟

علمت ليزا أنها سوف تصاب بالغثيان. لكن عليها أن تحافظ على تماسكها! ضغطت بأصابعها على كتفي بن. لم تحتمل شعور الألم الذي راح يعتمل في داخلها. عليها أن تفكر بأي شيء آخر.

الانتقام...!

ستدعه يرى أنها ليست مجرد فتاة صغيرة سخيفة تفوح منها رائحة المدرسة. وأنها ليست مجرد مراهقة من النوع الذي يبكي لشهر كامل لأنها خدعت من قبل شاب متملق.

وقف دييغو على بعد ثلاث خطوات منها، وعيناه الجميلتان تراقبانها بحدة. ما الذي يقصده بذلك؟ ماذا يفعل الشباب أمثاله؟ هل سيربت على كتفها، ويتمنى لها سفرة سعيدة في صباح الغد، ثم ينضم إلى ضحيته الجديدة؟ أو أنه ببساطة سيتجاهلها؟

حسناً! لن تدعه يتجاهلها. بدون أن تعطي نفسها أي وقت لتفكر، رفعت يديها وشدت رأس بن نحوها وعانقته بقوة. كان حزنها وبؤسها كبيرين جداً لدرجة منعاها من التفكير بذلك الحل المتسرّع. وبينما حاول بن أن يفهم ما يجري اصطبغ وجهه بلون أحمر قاتم. نظرت ليزا إلى عيني دييغو المتفاجىء الغاضب وصرخت به: «ابتعد عني، فأنت تفسد عليّ حياتي!».

راقبته وهو يستدير وقد ظهرت القسوة على وجهه، والتوتر على كتفيه، بينما سار باتجاه امرأته الجديدة. عضّت ليزا قبضة يدها بقوة... أرادت أن تركض وراءه لتعتذر عن كل ما حدث، وتتوسل إليه أن يعود

كل شيء بينهما رائعاً كما كان في السابق.

لكنها تعلم أنها لا تستطيع القيام بذلك. فقصة حبها الخيالية الرومانسية قد انتهت... أيامها الحلوة حيث هناك قلبان يدقان كأنهما قلب واحد، قد انتهت وتحولت إلى كابوس مخيف.

استدارت لتقول لبن، ووجهها شاحب شحوب وجوه الموتى: «خذني إلى البيت، فهو لن يأتي. يمكنني أن أفسر لك ما حدث، لكن ليس الآن. خذني إلى البيت».

marmoria5555

www.rewity.com

٢ - وجه ملاك وطباع هرّة

شعرت ليزا أن أحدهم يراقبها. أحست بقوة تلك النظرات الثاقبة المسلطة عليها من عينين مجهولتين. تلك النظرات لا تشبه مطلقاً النظرات الغامضة التي تحملتها طوال السهرة من الأشخاص المشهورين الذين قصدوا هذا المكان لتقديم المساعدات، أو بالأحرى للظهور أمام وسائل الإعلام بمظهر المحسنين الذين يساعدون المؤسسات الخيرية.

أحست كأن قوة تلك النظرات تحدث ثقباً في ثوبها الحريري وتخترق عظم كتفيها. كما شعرت أنها نظرات مراقبة، باردة، مليئة بالاحتقار والازدراء.

إنه شعور مزعج، مقلق ومخيف... اعترتها رجفة باردة...

لا بد أن ما يحدث لها هو من صنع مخيلتها. غضبت من نفسها ومن القلق الذي جعلها ضحية لخيالها الجامح، لكنها قامت بكل ما تستطيعه لتتخلص من تلك الأفكار. فهي مرهقة جداً، ومن الواضح أنه حان الوقت لتغادر.

بما أنها تعمل بديلة عن محررة الصفحة الاجتماعية، بالإضافة إلى قيامها بوظيفتها المعتادة كمحررة لصفحة الأزياء الحديثة، كان عليها تدوين الأسماء والألقاب، وجمع أجمل الصور والتفاصيل عن الأثواب التي ترتديها النساء هذه الليلة. أما مرافقها نيل، فهو من التقط الصور. والآن ستبحث عنه في ذلك المكان، حيث كان يأكل بنهم، لتخبره أن عملهما لهذا النهار قد انتهى.

شعرت بتعب شديد، وأحست أن ساقيها بالكاد تستطيعان حمل جسمها الخفيف. إذا سارت الأمور في لايف ستايل على المنوال ذاته كما

هي في الفترة الأخيرة فإنها سوف تعمل بديلة في أقسام المجلة كلها، وستعمل على مدار الساعة طوال سبعة أيام في الأسبوع. لأن المحررين ذوي الخبرة يتركون العمل بأعداد كبيرة. كما يقول والدها كلما وصلته رسالة استقالة إلى مكتبه: «الفئران تهجر السفينة المعرضة للغرق».

الضجة التي رافقت نشاطات المجتمعات المخملية أصابتها بصداع في رأسها وطنين في أذنيها. لم تعد تستطيع الانتظار لتعود إلى الهدوء والأمان في شقتها. شعرت ليزا أنها غريبة في هذا المجتمع المخملي. ربما هذا هو سبب إحساسها الوهمي بنظرات الاحتقار التي تتبع كل حركة من حركاتها. إنها ببساطة تنقل شعورها الداخلي وتفسر نظرات الناس على أساسه.

بالطبع لا أحد يراقبها، أو يحتقرها. لماذا سيفعلون ذلك بحق السماء؟

بدت نحيلة في ثوبها الأسود المتواضع. وقفت مستقيمة لتريح ظهرها المتعب قليلاً، ثم سارت نحو طاولة الطعام المليئة بالمأكولات الشهية. وجدت نيل، تماماً كما تصورته، يلتهم الخبز المحمص المليء بالجبن والكافيار، وكأنه لم يأكل منذ أسبوعين.

قالت وهي تهز رأسها رافضة أن تأكل أي شيء: «لقد انتهيت. كما أننا حصلنا على كل ما نحتاجه».

لم تكن متأكدة من أن الصور التي التقطتها قد تظهر في عدد الشهر القادم، فهذا أمر لا يزال موضع نقاش حتى الآن.

جالت عينا نيل على وجهها الشاحب.

- تبدين مرهقة. يجب أن تجدي عملاً أفضل وأكثر ملاءمة لك.

أبعد عنه الطعام وتابع: «انتظري لحظة... سأقلك إلى المنزل بنفسي. هل أعتبر نفسي مدعواً إلى خطوبتك الشهيرة مساء الغد؟».

- بالطبع. فكلما زاد عدد المدعوين، زادت الفرحة.

ابتسمت ليزا، وكانت تلك أول ابتسامة لها في تلك الأمسية. إحساس دافىء مريح اجتاحها، ليبعد عنها الشعور بالقلق وذلك الهوس

الذي أوهمها بوجود من يراقبها.

يا لروعة بن! ستفعل كل ما في وسعها لتكون زوجة صالحة له. رغم عدم وجود عاطفة كبيرة تجمعهما إلا أنهما قررا معاً بأن ذلك قد يعطي زواجهما فرصة أكبر للنجاح. لقد ناقشا الأمر جيداً؛ إنها علاقة آمنة، مليئة بالاحترام والود المتبادلين. تقبّلا ذلك، وهما مقتنعان أن زواجهما سيؤمن لهما الأمان والشعور بالاكتفاء، وهذا ما يريده كلاهما. تعتقد ليزا أن بن واقعي جداً، أما بالنسبة إليها، فالحوادث التي مرت بها منذ خمس سنوات قد أبعدتها نهائياً عن الحب العاطفي. لن تشعر أبداً مرة ثانية بعاطفة قوية كتلك التي شعرت بها نحو ذلك الشاب الإسباني. وهذا أمر جيّد، إذ كلما كانت العاطفة أقوى كلما كان الألم أشد أيضاً.

بدون أي إنذار، عاودها الشعور بأنها مراقبة. لكنه عاد مع إحساس بالانتقام والثأر. كرهت ذلك الشعور، فهو يخيفها. جعلها ذلك تنسى كل الأفكار المريحة بشأن بن والحياة التي خططا لها معاً.

إنها بعيدة جداً بأفكارها عن هذا المكان، وعليها العودة إلى منزلها لتحصل على الراحة التي تحتاجها، قبل أن يسيطر عليها خيالها بالكامل.

شعرت كأنها تبذل مجهوداً وهي تقول: «سأستخدم هذا المصعد، ثم سأستقل سيارة أجرة وأذهب إلى المنزل. أراك لاحقاً».

كان عليها أن تبذل المزيد من الجهد كي تستدير. شعرت أن من المستحيل عليها أن تكبح شهقة الصدمة عندما شاهدته... كانت عيناه السوداوان الباردتان تراقبانها...

إنه تماماً كما تتذكره، لكن مع تغييرات تخطف الأنفاس. بدا أنيقاً جداً ما جعله يظهر أكبر من سنين عمره السبع والعشرين. أما بذلته الداكنة الرائعة فأضافت تأثيراً مرعباً على ثقته بنفسه.

أظهرت ملامح وجهه الوسيمة كبرياء وتفاخراً كبيرين. ضاقت عيناه السوداوان بشدة وهما تطوفان على وجهها الشاحب.

- ديبغو!

خرج اسمه من فمها عبر أنفاسها المرتعشة، وشعرت أن كل شيء في داخلها تحول إلى تشوش كامل. ما إن تعرف عليها، حتى استدار على عقبيه، وسار مبتعداً عنها. لاحظت أنه ينتعل حذاءً جلدياً أسود يدوي الصنع. علمت ليزا من خلال ثيابه المرصعة بالجواهر والمصممة لتبهر كل من يراه أنه لن يتعب نفسه بإجراء أي اتصال بينهما، ولو حتى بكلمة واحدة.

* * *

تمددت صوفي على الأريكة في غرفة الجلوس في الشقة الصغيرة التي تتشارك فيها مع ليزا قرب كلابهام كومون وقد اكتسى وجهها الجذاب بتألق داخلي تُحسد عليه. رفعت نظرها لحظة وصول ليزا، وقالت: «يا إلهي! تبدين مخيفة!».

على الفور جلست منتصبة الظهر وتابعت: «ما الذي حدث؟ هل تودد إليك نيل مرة ثانية؟ هل أتصل بين كي يذهب إليه ويوبّخه؟».

لوت ليزا شفتيها، فصوفي دائماً تبالغ بردة فعلها. أما هي فتحتاج إلى من يساعدها لتتمكن من التحدّث عن أهم حدث في الأمسية كلها، وهو رؤية الرجل الذي كانت مقتنعة أنه حب حياتها.

- لا. لا شيء من هذا القبيل، والحمد لله!

رمت حقيبتها على الأرض، وارتمت على أحد المقاعد الوثيرة وهي تتابع: «الحفلات الخيرية للمجتمعات المخملية هي حقاً لا تحتمل».

علقت صوفي بدون أي تعاطف: «إنها غلطتك بالكامل. ما كان عليك أبداً أن تسمحي لهم بضمّك إلى فريق عملهم. لقد حاولوا ذلك معي أيضاً، لكنني تمسكت بالقيام بعملي الخاص في قسم العلاج الطبيعي».

رفعت ليزا كتفيها بعدم اهتمام، وخلعت حذاءها. إنها قصة قديمة... فهي لم تدخل الجامعة وتحصل على مهنة خاصة بها. منذ عودتها من إسبانيا، انضمت إلى والدها للعمل في قسم الخدمات قرب المكتب

الرئيسي للمجلة، بعد أن طلب منها أن تعيد التفكير في مستقبلها.

كانت شركة التوزيع والنشر تمر بصعوبات جمة. وتعمل على تخفيف النفقات، إما ببيع لوحات الإعلانات الضخمة الخاصة بالمجلة على الطرقات أو بإزالة تلك اللوحات. لكنهم عملوا جميعاً على حصر نفقاتهم. كان من واجبها أن تنضم إلى فريق العمل، بأجر زهيد، وأن تقوم بكل ما تستطيع القيام به للمساعدة في تبديل الأحوال.

في الوقت نفسه، كانت مرهقة من الناحية العاطفية، فلم تحاول المواجهة للحصول على ما تريده، حتى إنها كانت في وضع لا تعرف فيه حقاً ما الذي تريده.

- أعتقد أنك محقة.

نزعت ليزا الدبابيس التي كانت تبعد بنعومة شعرها الأشقر الطويل عن وجهها وهي تفكر أن عليها إخبار صديقتها الوحيدة عن رؤيتها لدييغو رافاكاني.

في تلك اللحظة لاحظت وجود كوبين فارغين على الطاولة المنخفضة. رفعت حاجبها باستغراب وهي تنظر إلى صوفي متسائلة.

اصطبغ وجه صوفي بلون وردي قاتم، ثم ضحكت قبل أن تقول: «طلب جيمس يدي هذا المساء، ووافقت».

كل النعاس والتعب اللذين كانت تشعر بهما ليزا تبخرا نهائياً. قفزت على قدميها لتضم صديقتها وتعانقها بقوة، وجلست متربعة قربها على الأريكة وقالت: «هذا أفضل خبر سمعته منذ فترة لا أستطيع تذكر مدى طولها».

كانت صوفي تقابل الطبيب الجذاب منذ أكثر من سنة، وهي تحبه بجنون.

قالت ليزا: «إنني سعيدة جداً من أجلك، أخبريني المزيد».

- سينضم إلى فريق عمل في وست كونتري. إنها منطقة ريفية جميلة جداً، وقد تم استدعاؤه إلى هناك. هل تصدقين ذلك؟

أضافت بحماس وثقة: «سنحظى بمنزل صغير هناك، وأستطيع منذ الآن أن أرى نفسي زوجة طبيب، ولدي عدد كبير من الأطفال. كما أنني سأنضم إلى مجموعة ربات البيوت، وأضع نفسي بتصرف كاهن القرية، وسأرتدي التنانير الفضفاضة والمعاطف الخضراء الضخمة، والقبعات المزينة بريش الطيور. إنه سيناريو غير قابل للتصديق، هذا إذا كنت قد سمعت بمثله من قبل».

ضحكت ليزا وهي تبعد بحزم الأمنية التي شعرت بها بأن تكون مثل صوفي لجهة الحماسة بشأن الخطط التي تعدها لزفافها. فهي وبن لا يعيشان في عالم من الرومانسية والخيال، فهما صديقان يتعاونان معاً لا أكثر ولا أقل.

بسرعة أخفت إحساساً مزعجاً مليئاً بالألم والحسد وهي تقول: «إذاً، متى سيكون ذلك اليوم السعيد؟».

- بعد ثلاثة أشهر. سأكون عروساً في منتصف الصيف.

اتسعت عينا صوفي بشكل كبير وتابعت: «يمكننا أن نحظى بزفاف مزدوج! سيكون ذلك رائعاً. وهكذا يتمكن بن من الانتقال للعيش معك هنا. لقد حان الوقت لينهض بأعباء حياته ويغادر المنزل الأبوي».

إنه أمر محتمل! هذا ما فكرت به ليزا وهي تصغي لصوفي وهي تتحدث عن فساتين الزفاف، ووصيفات العروس، والأماكن المفضلة لقضاء شهر العسل.

ذكر لها بن أنهما سينتظران سنة بعد الإعلان الرسمي لخطوبتهما غداً كي يتزوجا. كما أنه يعيش في منزل العائلة في هولند بارك بسبب الأعباء المالية الجمّة. لكن عندما ترحل صوفي، على ليزا أن تؤمن إيجار هذا المنزل، لذلك سيكون من العملي والمنطقي أن يشاركها بن فيه كزوج لها.

بعد مرور الوقت نسيت ليزا نفسها، وقالت بصورة لا إرادية: «كان في الحفلة الخيرية الليلة... تماماً كما أذكره... لكنه مختلف أيضاً».

- من؟

قالت صوفي ذلك وهي تراجع قائمة الضيوف.

- ديبغو!

كم كان من السهل لذلك الاسم الذي لم تذكره منذ تلك الليلة المخيفة أن ينزلق بهذه الخفة على لسانها. كم كان من السهل أن يُعيد ذكر اسمه أحاسيسها المدفونة مرة ثانية... آلام قلبها، غضبها، وذلك اليأس المطلق الشديد. تلك العواطف التي اعتقدت أنها ماتت منذ زمن بعيد ودفنت إلى الأبد عادت بسرعة إليها.

انتبهت إلى نظرة صوفي الغامضة فاندفعت قائلة: «إسبانيا. ألا تذكرين؟ تلك العطلة التي أصريت أنت وبن على تقديمها لي؟».

- بالطبع!

ضربت صوفي جانب رأسها بعقب يدها وتابعت: «النادل الوسيم الذي اعتقدت أنك كنت مجنونة بحبه... ذلك الشخص الذي تخلى عنك في تلك الليلة الأخيرة لنا هناك. الحقير! ما هذا العالم الصغير؟ وما الذي كان يفعله هناك بالاختلاط مع أولئك الناس؟».

- لا فكرة لدي مطلقاً.

وضعت ليزا كوبها جانباً على الطاولة، وهي لا تعلم حقاً لماذا بدأت بالتحدث عنه. حاولت جاهدة أن تتفهم حاجتها للحديث... أتراها عقدة نفسية، وهي ترغب في التحدث عنها لتتخلص من ألم الخيانة المدفون بعمق في داخلها؟

- بدا كأنه يملك مليون دولار. حسناً! لنقل إنه بدا وكأن هذا المبلغ مجرد فكة نقود بالنسبة إليه. أعتقد أن عمله الاجتماعي قد أوصله إلى مجالات واسعة.

عليها أن تقول ذلك، وتعبّر عمّا يدور في رأسها بشأنه وأن تصفه بكل الصفات السيئة التي تخطر في بالها لكي لا تعود أبداً إلى ذكره من جديد، فلا تشتاق إليه أو تحلم به بعد اليوم.

قالت صوفي باشمئزاز: «يا له من مخادع متأنق! أتمنى أن تكوني قد

وبخته بقساوة!».

- لم نتحدث مع بعضنا.

بل مجرد كلمة واحدة، فقد انزلق اسمه من بين شفتيها.

وافقت صوفي قائلة: «ربما ذلك أفضل. لو كنت مكانك لضربته بشدة، وأثرت فضيحة كبيرة في المكان. والآن، لننسَ ذلك اللعين، ولنتحدث عن شيء جميل. ما الذي سترتدينه في حفل خطوبتك؟ من جهتي، أعتقد أنني سأرتدي فستاني الأخضر الحريري. يقول جيمس إنه رائع جداً علي».

* * *

رأت ليزا منزل هولند بارك في أبهى حلة للاحتفال. كان معظم الضيوف في الانتظار عندما وصلت. كانت الزهور منتشرة في كل مكان وقد عبقت رائحة الربيع في الغرف الأنيقة الجميلة. حتى وفاة والدتها كان والداها يعيشان في منزل كهذا، بالكاد يبعد من هنا مسافة خمس دقائق سيراً على الأقدام. كانت لا تزال في مدرسة داخلية ولم يتجاوز عمرها الرابعة عشرة، عندما تلقت ذلك الخبر المشؤوم.

تماماً بعد الجنازة أخبرها والدها ببرودة أنه سيبيع منزل العائلة، لينتقل إلى شقة مناسبة أكثر لرجل يعيش بمفرده. في تلك اللحظة وعت الخسارة الفادحة التي تعرضت لها. لقد أحبتها أمها كثيراً، والآن رحلت المرأة الرائعة اللطيفة التي كان يسيطر عليها زوجها القوي الشخصية إلى الأبد. اعتقدت بسذاجة أنها ووالدها سيتقربان أكثر من بعضهما البعض بسبب حزنهما الشديد على أمها. لكنه كان يبعد نفسه عنها أكثر فأكثر، لاسيما عندما أخبرها أنه سيشتري منزلاً جديداً قائلاً: «اقترحت عائلة كليتون أن تمضي أيام العطل المدرسية معهم. فلطالما كنت سعيدة مع التوأمين بن وصوفي، ورفقتهما ستكون أفضل بكثير لك من رفقتي».

أغمضت ليزا عينيها لفترة وجيزة، راغبة بالتخلص من الذكريات المؤلمة غير المرغوب فيها. فهذه مناسبة سعيدة، حباً بالله! وضعت ابتسامة

على وجهها، وسلمت معطفها إلى الموظفة التي تم استخدامها لهذا العمل في الحفلة، ودخلت لتبحث عن بن.

امتلأت الغرف بالضيوف، لذلك أخذت تسير ببطء، وهي تحيي أصدقاءها، زملاء العمل، وأشخاصاً لم تعرفهم من قبل تمت دعوتهم من قبل والدي بن على ما تعتقد.

كانت قطع المفروشات قد أبعدت إلى حدود الغرف ومنها ما أزيل بالكامل، ووضعت مائدة مليئة بالطعام السخي الشهي في غرفة الطعام الكبيرة، يخدم حولها موظفون يرتدون ثياباً أنيقة مرتبة. رأت بن ووالديه يقفون قرب إحدى النوافذ الطويلة، مستغرقين في حديث خاص جدي. حديث انتهى على الفور ما إن وصلت ليزا ولمست كمّ بن لتحظى بانتباهه.

سألتهم وقد عقدت حاجبيها البنيين الناعمين: «هل هناك خطب ما؟».

بدا على ملامحهم القلق بشكل غريب، لكن هونور كليتون نفت ذلك على الفور وقالت: «بالطبع لا! كم تبدين جميلة، عزيزتي. أليست كذلك، بن؟ هل أتت صوفي معك؟ لماذا تأخرتما هكذا؟».

- إنها بانتظار جيمس. سيذهب إلى الشقة لإحضارها وسيأتيان معاً.

وضعت ليزا يدها تحت ذراع بن وتابعت: «أعتقد أنك سمعت بآخر الأخبار أليس كذلك؟».

كانت تعلم أن هونور علمت بالأمر. كانت موجودة عندما اتصلت صوفي بأمها، ورأت تعابير القلق على وجهها، وكيف رفعت كتفيها بلا اهتمام وهي تقلب عينيها إلى الأعلى.

رفعت هونور كتفيها بطريقة تُظهر عدم رضاها عن الأمر، وقالت: «بالطبع علمت. لكن هل تبدو صوفي مناسبة كزوجة لطبيب متواضع في الريف في المستقبل؟».

عملت ما في وسعها لتتمكن من الابتسام قبل أن تتابع: «الوقت

وحده سيعطينا الجواب، على ما أعتقد».

قالت ليزا بلطف: «إنها سعيدة جداً».

حماتها العتيدة متكبرة لكنها لا تتمنى إلا الأفضل للجميع. وليزا لن تنسى مطلقاً الإحساس بالعطف الذي أظهرته لها هذه المرأة في العطل المدرسية بعد وفاة والدتها.

كانت ليزا يافعة، ومع ذلك علمت بحدسها أن هونور لا تملك الكلمات المناسبة لتعزية الطفلة اليتيمة لشريك زوجها. لذلك عمدت إلى القول: «والآن عزيزاي، جدا شيئاً مفرحاً للقيام به مع الصغيرة ليزا، لا مجال للتكاسل داخل المنزل! هناك الكثير من الأشياء التي يمكنكم القيام بها، كالذهاب إلى السينما، المتنزهات، المقاهي...».

بعد الصمت المطبق الذي ساد عقب جملتها الأخيرة، فكرت ليزا بتعجب، لماذا على العائلة أن تشعر بكل هذا التوتر لأن شاباً رائعاً كجيمس تقدم بطلب يد ابنتهم للزواج. سألت فجأة: «أين أبي؟».

ساد الاحساس الغريب للمرة الثانية. نظر آرثر كليتون إلى ابنه أولاً ثم إلى زوجته. تحدث للمرة الأولى منذ أن انضمت ليزا إليهم، فقال: «في المكتب، في اجتماع مع أكبر معلن لدينا. ولن يتأخر كثيراً. أعلم أن هذا ليس تصرفاً مثالياً في احتفال عائلي خاص، لكن من الواضح أن إقامة الرجل ليست طويلة في المملكة المتحدة وعلينا استغلال هذا الأمر».

قالت هونور بحماسة: «حان الوقت لنتحدث مع الضيوف. هيا آرثر يمكنك أن تبدأ بالكلام ما إن يظهر والد ليزا، وأعتقد أنه يريد قول بعض الكلمات بنفسه... بالمناسبة أعلم أن الجميع هنا على علم بالموضوع، لكن علينا أن نجعل الخطوبة رسمية».

ابتسمت بثبات، وأمسكت بذراع زوجها لتسير برفقته نحو قاعة الاحتفال الرئيسية.

عندها سألت ليزا: «هناك أمر غريب يحدث، أليس كذلك بن؟ في البداية اعتقدت أن والديك غير مسرورين بشأن زواج صوفي. لكن ليس

هذا ما في الأمر، ألست محقة؟».

- المشاكل تتعلق بريع الإعلانات.

تابع معترفاً وقد أبقى صوته منخفضاً، كي لا يسمعه أحد غيرها: «لكن لا شيء بالنسبة لك يدعو إلى القلق، فهذه الأخبار قديمة. هل هذا الفستان جديد؟ يبدو كأنه قد كلف ثروة».

سرعان ما بدّل الحديث، وبدا غير راغب بمواصلته. ظهر بعض العبوس على وجهه وهو يقطب جبينه وينظر إلى الثوب الأنيق الذي كانت ترتديه، وهو ثوب من الحرير الشفاف بلون القهوة الباهتة، ينساب فوق جسمها على شكل طبقات، أما الجزء الأعلى منه فمعقود حول رقبتها بشريطين من الترتر الرفيع.

أبعدت أصابعها عن ذراعه وهي تنتظر أن يهدأ غضبه غير المبرر. إنه دائماً شديد الحذر بالنسبة للمال، وهي تعلم ذلك.

لم يكن هذا الأمر يقلقها أبداً، فهي ترى ذلك الجانب من شخصيته مسلياً. لم تتوقع منه أن يتغير لكنها تفضّل لو أنه أظهر بعض الاعجاب بمظهرها قبل أن يبدأ بانتقاد ثمن الفستان.

ابتسمت له ابتسامة متآمرة وقالت: «لقد استأجرته لهذه الأمسية فقط، لكن لا تخبر أحداً بذلك!».

تقبلت ابتسامته كمكافأة على عملها. وضع بن يده الدافئة حول خصرها الناعم. التوت شفتاها فظهرت ابتسامة صغيرة أبرزت الغمازة في خدها، لكنها أدركت أنه يخفي عنها أمراً هاماً.

- لا تتظاهر أمامي، بن. إن كانت لدينا مشاكل مالية، فيجب أن أعرف بها.

القسم المالي هو اختصاصه وليس اختصاصها، وهو بدوره لا يتدخل في عملها التحريري، لكن هذا أمر مختلف كلياً.

أحنى بن كتفيه إلى الأمام ليظهر عدم ارتياحه. وللحظة اعتقدت ليزا أنه لن يخبرها بما يحدث. لكنه رماها بنظرة قلقة وقال: «لم نكن نرغب في

إثارة قلقك. ففي النهاية، قد يتمكن والدك من تبديل رأيه».

- رأي من؟

- رئيس الشركة الدولية للاستيراد والتصدير. إنه يهدد بسحب إعلاناته من مجلتنا.

- وهل لهذا الأمر أهمية كبرى؟

- يمكنك المراهنة على حياتك بذلك، فإعلاناته تضم الثياب الجلدية الفاخرة، سلسلة محلات «لوس كلاسيوس» للمجوهرات، أنواع متعددة من العصير، أفخر أنواع الأجبان، والعديد من الفنادق الفخمة والمباني المنتشرة عبر العالم. مع سحب تلك الإعلانات كلها سنصبح في النهر بدون أي مجذاف.

- يبدو الأمر سيئاً جداً.

عضت ليزا شفتها السفلى بقوة. كانت تعلم أن هذا سيحدث. أي معلن يرضى بالاستمرار مع مجلة، وتتجه نحو الاقفال الحتمي؟

- ما هي فرصة والدي ليتمكن من جعله يبدل رأيه؟

رفع بن كتفيه وهو يقول: «الله وحده يعلم!».

سار معها ليبتعدا عن النافذة وهو يتابع: «ما كان عليّ إخبارك.. لا تدعي هذه الأخبار تفسد علينا سهرتنا، ليزي. إذا سارت الأمور نحو الأسوأ وتوقفت لايف ستايل، فنحن سنتدبر أمرنا بخير. مع اختصاصي وخبرتك سنجد عملاً آخر. احتفظي بتلك الفكرة ونحن نختلط بالناس».

ابتسمت وقامت بكل ما بوسعها لتظهر أن كل شيء بخير في عالمها. لكن ليزا شعرت بالفراغ في داخلها، وراحت عيناها تنظران بصورة دائمة نحو المكتب، حيث كان والدها يعمل على إقناع رجل الأعمال البارز المتكبر بألاّ ينزع صمام الأمان من حياتهم جميعاً. عدد كبير من الزوار كانوا من فريق عمل لايف ستايل. لكن، بعد مرور شهر واحد فقط قد يصبحون بدون عمل، فوالدها وآرثر كليتون على ما يبدو يواجهان الإفلاس بوضوح.

كيف يمكن لبن أن يتوقع منها إبعاد تلك الأفكار عن رأسها، وتعزية نفسها بفكرة أنهما سيكونان بخير؟

لا يعقل أن يكون بهذه الأنانية، أليس كذلك؟ هزت رأسها بصورة لا شعورية رافضة تصديق ذلك. بالطبع هو ليس كذلك.. لا بد أنه قال ذلك فقط كمحاولة منه ليسعدها، فهو غير راغب في إفشال تلك السهرة المميزة لهما.

ما إن أمسكت بكوب الشراب الذي قدمه لها أحد الخدم حتى رأت والدها، فشعرت بقلبها يضرب بقوة بين ضلوعها.

من المستحيل عليها أن تعلم من تعابير وجهه إن كان قد نجح في مهمته أم لا، لأنه كالعادة يحتفظ بما يشعر به لنفسه.

ساد الصمت، وكأن حضور الرجل القوي قد فرض ذلك. عندما تحدث عن سعادته بالعلاقة المميزة بين العائلتين، دخلت الكلمات من إحدى أذنيها لتخرج من الثانية. وعندما وضع بن الخاتم الماسي في إصبع ليزا شعرت بالألم في وجهها من الابتسام المصطنع والتهاني المفرطة. ومرّت السهرة بدون وعي منها. وفي الواقع، لم تترك المناسبة أي أثر جميل لديها على الإطلاق.

كل ما كان يهمها هو ملامح وجه والدها الصارمة التي أظهرت التوتر القاسي. كان يقف وراء المجموعة التي تحيط بها وتتحدث معها ومع بن. وبانحناءة خفيفة جانبية من رأسه فهمت أنه يريد محادثتها فقدمت اعتذاراتها، وتوجهت مباشرة نحوه.

قال: «هناك من يحتاج إلى رؤيتك في المكتب».

- إلى رؤيتي أنا؟

لاحظت ليزا تعابير الضيق وعدم الصبر على فمه القاسي بسبب سؤالها الأحمق بعد جملته الواضحة التامة. ولتتجنب الرد الساخر الذي تعرفه من خلال التجارب السابقة أسرعت بالسؤال: «كيف سارت الأمور؟ أخبرني بن أن هناك الكثير من المشاكل».

ما الذي يمكن أن يطلبه منها الثري الكبير؟ قراءة المزيد من المقالات المثيرة التي تخطف الأنفاس في مجال عملها؟ وكأن جميع المشاكل ستحل على الفور خلال لقاءات المحررين مع الشركاء!

تجنب والدها الرد عن سؤالها، وعلق ببرودة: «كما قلت لك، يبدو أننا نحتاج إلى مساعدتك، وكل ما أستطيع قوله هو أن تحاولي بجهد ألا تجعلي الأمر أكثر سوءً. لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، وبعدها تستطيعين التمتع بما تبقى من سهرتك».

نعم، ربما يكون محقاً... هذا ما فكرت به ليزا. لذا بدون أي تذمر، سارت نحو المكتب لتعرف ما يريدونه منها. وضعت يدها على باب المكتب، وتوقفت للحظة، لتراجع نفسها ولتتمكن من التحدث بهدوء.

إن أمكنها أن تكتب الافتتاحية في المستقبل وهي صفحة مهمة فربما تستطيع أن ترجّح كفة الميزان لصالحهم. مع أن مواضيع الافتتاحية بعيدة عن الصفحات التي تهتم بها عادةً وهي أخبار المجتمع المملة أو مقالات الأزياء التي تهم الأثرياء فقط...

إن أفسدت الأمور فلن يسامحها والدها مطلقاً! لم تكن تلك المرة الأولى التي تتساءل فيها لما تزعج نفسها بمحاولة إرضائه. لماذا ترغب في الحصول على شيء لن تحصل عليه أبداً، وهو دفء رضاه ومحبته؟!

جعدت أنفها الصغير بحركة ما، وأبعدت علاقتها بوالدها عن تفكيرها. رفعت رأسها لتتمكن من التنفس بقوة ولتريح عمودها الفقري، ثم وضعت ابتسامة على وجهها، ودخلت إلى المكتب.

هناك رأته! يتكيء على حافة مكتب آرثر كليتون، ساقاه الطويلتان متقاطعتان عند الكاحلين، وعيناه السوداوان القاسيتان تنظران ببرودة وضيق إلى وجهها.

تقلصت معدتها من الصدمة!

بدا صوتها كالصدى عبر الطنين والأزيز اللذين ملآ أذنيها وهي تقول: «لا بد من وجود خطأ ما!».

تراجعت خطوة إلى الوراء، ومدّت إحدى يديها لتلمس الباب...

فرؤية ديبغو رافاكاني وجهاً لوجه ليلة البارحة أمر سيء جداً، لأنه أثار كل الذكريات المؤلمة وأعادها إلى الوجود، لكن رؤيته هنا متظاهراً أنه معلن مهم وأساسي...!

- أبداً. ليس هناك أي خطأ. أؤكد لك، آنسة بنينغتون. اجلسي.

تحرك ليقف منتصباً وقد تباعدت قدماه، فيما وضع يديه ذات الأصابع الطويلة على وركيه الضيقين. كانت سترة بذلته مفتوحة لتظهر صدرية متناسقة، ملتصقة بنعومة على جسده القوي الرائع. إنه صورة واضحة للأناقة المترفة. لم يكن هناك أي أثر لثيابه العادية أو الرديئة.

حين تعرّفت إليه في إسبانيا كان يرتدي ثيابه بدون اهتمام، أما هذا الشخص الأنيق فلا يمت بصلة إلى حبيبها الإسباني الذي مزّق قلبها.

خاطبها بنبرة صوت رسمية جداً ما ساعدها على استجماع قوتها. لقد مرّ وقت طويل على قصتهما... وقت طويل جداً يمنع الذكريات من العودة مجدداً. هذا ما حاولت إقناع نفسها به. إن كان هو قد تغير، وهو أمر مؤكد وواضح في وجهه الوسيم القاسي، إذاً فهي أيضاً تغيرت.

راقبته يجلس على الكرسي الدوار وراء مكتب آرثر، فشعرت بقلبها يخفق بقوة قرب حلقها. إنه لا يزال يتحرك بتلك الرشاقة الفطرية العفوية نفسها، ولم تستطع إلا أن تتذكر كم كانت تشعر بالسعادة وهي تراقبه.

جلست ليزا على المقعد المقابل له ويداها مرخيتان في حضنها. ضغطت عليهما بقوة باحثة عن القليل من التماسك، وقالت تسأله بصوت هادىء بقدر ما استطاعت: «إذاً أنت تعمل الآن في الشركة الدولية للاستيراد والتصدير؟».

كبحت في داخلها التعليق الوضيع الذي قفز إلى ذهنها: إنها خطوة كبيرة بالنسبة إلى نادل متواضع. فمن أجل مصلحة الجميع لا يمكنها أن تضايقه أو تغضبه، مع أنها لا تزال ترغب في انتزاع عنقه بسبب ما فعله بها.

www.rewity.com

- منذ تقاعد والدي استلمت مكانه في «الشركة الدولية للاستيراد والتصدير».

وضع مرفقيه على ذراعي المقعد الذي كان يشغله. أخذت عيناه الضيقتان تراقبان عدم تصديقها والصدمة الواضحة التي لمعت على وجهها.

وجه ملاك وجمال أسطوري، مع أخلاق تليق بهرة متشردة! هذا ما فكر به وهو يراقبها.

بدت أكثر جمالاً مما يتذكر، فجسمها الناعم الرائع التقاسيم ما زال فاتناً بشكل لا يصدق.

منذ خمس سنوات كان بإمكانه الحصول عليها لكنه لم يسمح بذلك لأسباب تخصه. ضاقت عيناه السوداوان المبهمتان ولمعتا بشدة من خلال رموشه السوداء الكثيفة. منذ خمس سنوات حرم نفسه من الحصول على تلك السعادة بامتلاكها مع كل الإغراءات التي أحاطت به. الآن بطريقة أو بأخرى، سيتمكن من الحصول عليها. سيحصل على ما يريده منذ فترة طويلة، سيتعلم أسرار هذا الجمال، ثم سيرميها ثانية إلى حيث تنتمي.

أبعد يديه، واتكأ بارتياح على المقعد... فكر ببطء بالسعادة التي سيحظى بها إن انتزع المشبك الذي يرفع شعرها إلى الأعلى ليتمكن من رؤية جدول الحرير الذهبي يتهادى على بشرتها البيضاء.

قال بنبرة واضحة أكثر من العادة بصوته الناعم: «لدي اقتراح سأعرضه عليك، آنسة بنينغتون».

marmoria5555

٣ - الخيار الصعب

- بالتأكيد، أنت لا تقصد ذلك!

إنه أمر مروّع... منتهى الجنون... اقتراح لا يصدق! لا بد أنها أخطأت بما سمعته، أو ربما ديغو رافاكاني قد أصيب بالجنون...

دفعت ليزا نفسها ونهضت على ساقيها... لكنها سرعان ما تمنت من كل قلبها لو أنها لم تفعل ذلك.

راح جسمها يرتجف بشدة، فترنحت لعدم قدرة قدميها على حملها. ضاقت أنفاسها واتسعت حدقتا عينيها الزرقاوين اللتين تحولتا إلى لون أسود داكن. رأته ينهض على قدميه ويلتف حول المكتب ليقف بجانبها.

شهقت بقوة ما إن تنشقت رائحة عطره، وأحست بحرارة جسمه. شعرت بجفاف في فمها وأخذ قلبها يضرب بقوة بينما راحت تحدق في وجهه الرائع القوي النحيل.

راقبت فمه الجذاب وهو يؤكد لها: «أنا أقصد كل كلمة قلتها!».

وهنت ركبتاها فترنحت فوق كرسيها من جديد.

- لماذا؟

جاء صوتها أجش بينما راح فكرها يراجع مراراً وتكراراً كل كلمة قالها. أصبح من المستحيل عليها أن تستجمع أفكاراً منطقية أو متماسكة في رأسها لأكثر من جزء من بليون من الثانية.

- لأنك تدينين لي بذلك.

لمعت أسنانه البيضاء وهو يتابع: «منذ خمس سنوات كنتِ ترغبين كثيراً بهذا. لكن بسبب احترامي لشبابك ولإيماني بحبك عاملتك كما تعامل النساء المحترمات، لكنك برهنت أنك لا تستحقين احترام أي رجل».

بدا وجهه الجميل القاسي مليئاً بالتوتر، وتابع قائلاً: «لقد أحببتك لكنك رميت ذلك الحب في وجهي. تلك كانت مكافأتي على اهتمامي بك من دون أنانية. والآن حان الوقت لكي تسددي دينك لي. ستة أشهر، أو ربما ثلاثة فقط قد تكون كافية لأنزعك من أفكاري».

ظهر بريق في عينيه، والتوت شفتاه بطريقة جعلتها تشعر بانزلاق مياه باردة على ظهرها وهو يقول: «حين تجرحين كبرياء رجل إسباني، عليك أن تتوقعي وتنتظري انتقامه المحتم».

ارتجفت ليزا. رفعت يديها المرتجفتين وغطت فمها، محاولة أن تفهم ما يطلبه منها. جاهدت بقوة لتتمكن من إضفاء بعض المنطق على الوضع برمته. وقالت تتهمه: «قلت إنك مجرد نادل، بينما أنت في الواقع رجل فاحش الثراء. لقد كذبت علي».

ظهرت السخرية على وجهه واستدار مبتعداً عنها.

- لم أكذب عليك. أنت، ببساطة، قمت بذلك الاستنتاج بنفسك. كنت سعيدة بتسلية نفسك حين اعتقدت أنني شاب لا قيمة له. أردت البحث عن عطلة رومانسية رخيصة، وعندما لم أوافقك على ما تريدينه أقمت علاقة مع الرجل الذي أعرفه الآن باسم بن كليتون.

غادر اللون وجهها وهي تقول: «حباً بالله! كنت فقط أراقصه، كيف تجرؤ على قول ذلك؟».

عاد إلى مقعده في الجهة المقابلة من المكتب، ورفع يده بوقاحة ليمنعها من التلفظ بأية كلمة.

- كنت مرتمية عليه تعانقينه بشدة، وإذا كنت قد نسيت ما قلته لي، فأنا ما زلت أذكر.

أجفلت ليزا من القسوة التي التمعت في عينيه السوداوين. بالطبع هي تتذكر... إنها تتذكر كل كلمة قالاها لبعضهما البعض. أما بالنسبة للكلمات التافهة الأخيرة التي قالتها له، فهي لن تستطيع تبريرها، وهو بدون شك لن يصغي لما ستقوله. فلقد تحدث عن جرح كبرياء الرجل

الإسباني...

- العرض أمامك!

تابع بنبرة لاذعة وضعها في صوته، ما جعل ليزا تشعر كأنها سمعت للتو أنها مصابة بمرض مميت: «ستعيشين معي، ترافقينني حيثما ذهبت لمتابعة أعمالي، فتهتمين بشؤوني وتنفذين أوامري إلى أن أشعر بالضجر منك. وفي المقابل لن ألغي إعلانات شركتي، ولن ألجأ إلى مجلة منافسة لكم، بل سأزيد مدخول الشركة، وسأعمل على ضخ دم جديد فيها لأحسن صورة «لايف ستايل» المظلمة، وأعيدها إلى سابق عهدها من النجاح. لكن إن رفضت... وهذا أمر يعود إليك بالطبع، عندها...».

بحركة خفيفة من كتفيه المريضتين سمح للتهديد أن يبقى معلقاً في الهواء؛ الهواء الذي أصبح الآن خانقاً كما يبدو، بسبب كثافته وثقله.

لم تعد ليزا تستطيع التنفس. فعقلها لم يعد يعمل كما يجب. لم تعد تسمع سوى تلك الكلمات التي راحت تضج في رأسها: ستعيشين معي... تهتمين بشؤوني... تنفذين أوامري... تساءلت بكره لنفسها لما لا تزال تشعر بذلك الانجذاب إليه! فبعد مرور هذا الوقت كله لا يزال يستطيع أن يؤثر فيها. كم مرة قالت لنفسها إنه لا يستحق حتى التفكير به للحظة واحدة؟ لقد قالت ذلك ملايين المرات! ومع ذلك كل ما تريده الآن هو أن تكون بقربه.

- لقد عقدت خطوبتي للتو.

قالت ذلك فجأة باندفاع من بين شفتيها المرتجفتين.

- افسخيها!

نهض على قدميه... بدا ضخماً، مخيفاً، لكنه فاتن جداً، ما جعل فمها يجف ما إن نظرت إليه، باحثة عن الرجل الذي عرفته.. الرجل الذي وقعت في غرامه بجنون.

- سأتصل بك صباح الغد باكراً، لأعرف ما هو قرارك.

خرج دييغو من الغرفة، وأغلق الباب وراءه بطريقة حاسمة. ارتجفت ليزا، ولفت ذراعيها حول جسمها الذي بدا لها كأنه سينهار.

فكرت وهي ترتجف بأن الغرفة بدت باردة وفارغة حالما خرج دييغو منها. لكن ما الجديد في هذا؟ فهو دائماً يملك القدرة على إضفاء جو من الحيوية حيثما يكون، بحيث يبدو الهواء الذي يحيط به مشحوناً دائماً بطاقة من الجاذبية والحياة.

شعرت بالألم بسبب توتر أعصابها، فما تحدث عنه دييغو وما طلبه منها مستحيل! فقط لو أنه أتى وأخبرها أنه بحاجة إليها، واعترف وهو نادم، أنه كان يخونها في تلك الفترة الماضية التي أمضياها معاً، لسامحته وعادت إليه مسرعة.

لكنها عادت توبخ نفسها بقوة لتفكيرها بطريقة غير منطقية، فهو على عكس ذلك تصرّف كأي متفاخر متكبر واتهمهابكل وضوح أنها هي من كانت مخطئة. صحيح أنها قامت بتصرف بغيض، لكنها كانت يائسة جداً لتتمكن من التعامل مع خيانته بطريقة متعالية، كما أنها كانت تشعر بالقلق والتوتر لذا تصرفت كالمجنونة.

- إذاً، كيف سارت الأمور؟

أجفلت ليزا بقوة، إذ كانت مستغرقة في أفكارها الخاصة التي تعذبها ولم تسمع بن يدخل الغرفة، ويضع يده على كتفها.

- رأيت السنيور رافاكاني يغادر لتوه. يبدو هذا الاسم مألوفاً لدي!

رفع كتفيه ليتخلص من تلك الفكرة لعدم أهميتها، وتابع: «لا أعتقد أنك تحدثت معه عن سحب استثماراته الإعلانية معنا، فوالدينا لم يصلا إلى أي اتفاق معه، كما هو واضح».

قال تعليقه هذا وهو يشعر بالهزيمة مسبقاً.

بسبب القلق الواضح في صوته تعثرت ليزا وهي واقفة. فرفع بن حاجبيه متسائلاً. لا يحمل بن هالة من الجاذبية حوله، هو متبلد الحس. إنه بكل بساطة، إنسان عادي. لأول مرة في حياتها أرادت أن ترتمي بين

ذراعيه، وأن تتوسل إليه كي ينقذها من أشواقها القديمة الخائنة التي أحياها دييغو في داخلها. لكن علاقتها العاطفية ليست قوية مع بن لكي تتمكن من القيام بذلك. منذ سنوات، وهي تحاول ما بوسعها لتبدو هادئة ومسيطرة على نفسها تماماً، وهو بالتأكيد سيزعج إن رآها تنهار وتضعف.

شعرت بألم في عينيها بسبب دموعها، فانحنت لترتب شريط حذائها كي تخفي دموعها. يا لبن العزيز! إنه عملي ومنطقي، وسيشعر بالرعب إن اعتقد أنها تفكر، ولو للحظة واحدة؛ أن تضحي بنفسها من أجل إنقاذ المجلة.

لكنها لا تفكر بالقيام بهذا، أليس كذلك؟ ناشدت نفسها بصمت. لا مجال مطلقاً! استقامت في وقفتها وأجبرت نفسها على أن تبدو عادية وهي تقول: «لا يمكننا التحدث عن ذلك الآن. سنفعل ذلك في ما بعد. يمكننا البقاء لمدة نصف ساعة، ثم ستوصلني إلى منزلي وهناك سنتحدث بالأمر».

ظهرت نظرة من الشك على ملامح وجهه المرح وقال: «الوالدان يريدان أن يعرفا ما قاله لك. أنت تعلمين أنهما سيسألانك عن ذلك، ولا يمكننا ببساطة أن نخرج من سهرتنا المميزة دون كلمة توضح الأسى. سيجد الناس هذا الأمر غريباً، هذا أقل ما يمكن قوله».

تنهدت ليزا باستسلام، وقالت: «لا! لن يقولوا شيئاً. سيعتقدون أننا كأي شخصين مرتبطين حديثاً، نتلهف للبقاء مع بعضنا على انفراد».

- لا تكوني فظة، ليزي. فهذه الصفة لا تناسبك.

ازداد وجهه تجهماً وتابع: «لِمَ كل هذا السيناريو التآمري؟ فإما أن ينهي هذا الشاب أعماله معنا، أوَ أنه لن يفعل. كلمة نعم أم لا ببساطة ووضوح تكفي».

تجاهلت تأنيبه؛ وضعت يدها تحت ذراعه وقالت بجدية: «ليس الأمر سهلاً كما تعتقد. قدم رافاكاني لي عرضاً، لكنه مرتبط بعقبات كثيرة.

www.rewity.com Nermin55555

وأنا بحاجة لأخبرك عنها على انفراد، قبل أن يتحطم كل شيء فوق رؤوسنا».

جنت مما قالته نظرة حائرة، لكنها تمكنت من جعله يتوقف عن الجدال والمناقشة، وهكذا انضما إلى الحفلة. طوال فترة الخمس عشرة دقيقة أو أكثر التي أمضياها يختلطان مع الناس ويتحدثا معهم، كان رأس ليزا يدور وكأن الأمور قد اختلطت عليها بقوة. فاليأس المطلق جعل معدتها تتقلص، وجعل قلبها يضرب بقوة بين ضلوعها.

لديها القدرة لتنقذ عمل زملائها، ولتضمن لهم مستقبلاً أكثر أماناً وإشراقاً. كلمة واحدة منها ستمنع آرثر كليتون ووالدها من مواجهة الفشل والخسارة. إنها تدين لهما بشيء ما، أليس كذلك؟ لمسة خفيفة على كتفها جعلتها تتوتر حتى أطرافها. كانت تلك اللمسة من ماغي دفونشير، محررة الصور.

أشرق وجهها اللطيف من الفرح وهي تقول: «أخيراً رأيتك! إنني سعيدة جداً لأجلكما. فأنتما شابان، وستبدآن بالنجاح معاً. هذا شيء رائع وجميل جداً».

ظللت عينيها المتعبتين ذات اللون البندقي دموع حارة وهي تتابع: «دعيني أرى الخاتم».

ما إن وضعت ليزا يدها في يد المرأة الأكبر سناً حتى شعرت بعينيها تخزانها. كانت ماغي واحدة من أعظم النساء، فهي تتحمل أعباء مشاكلها بثبات وإيمان. فابنها بيلي مصاب بقصور في الدماغ منذ ولادته، وهو يملك عقل طفل في الرابعة من عمره لكن جسمه جسم رجل شاب. ولأن زوج ماغي تخلى عنها منذ سنوات عديدة، فهي تعيش بمفردها. تأخذ بيلي إلى مركز العناية اليومية وهي في طريقها إلى العمل، وتأتي لاصطحابه عند عودتها مساءً إلى المنزل. لم تتذمر يوماً أو تتلفظ بكلمة لتشفق على نفسها، وإن فقدت عملها فلن تجد عملاً آخر. إنها في منتصف الخمسينات من عمرها، وكل ما تستطيع أن تجده هو عمل وضيع بأجر

زهيد كتنظيف المكاتب أو شيء من هذا القبيل.

رعشة باردة سيطرت على كل جزء من جسم ليزا. ما إن انتهت ماغي من إظهار إعجابها بالخاتم الماسي وتركت يدها، قالت لها: «علي حقاً الذهاب الآن. سيمضي بيلي الأمسية عند إحدى الجارات، لكنني لا أريد أن أستغل طيبتها، فلا أحد يعلم متى سأحتاج إليها ثانية. ربما سيدعوني مليونير وسيم لتناول العشاء خارجاً».

ما إن استدارت ماغي وهي تسخر من نفسها بخفة حتى وضعت ليزا يدها بتوتر على ذراع بن، وتمتمت بحزم: «لنذهب».

هل يمكنها أن تضحي بنفسها من أجل مصلحة المجلة؟ لماذا تشعر بتلك الحرارة الغامضة في عروقها لمجرد التفكير بما سيحدث فعلاً؟

عليها أن تعيد الخاتم لبن... كم سيؤلمه هذا الأمر!

لكن هذه العلاقة العابرة مهما طالت ستنتهي حين يقرر دييغو ذلك. وعندها لن يتبقى لديها إلا الشعور بالفراغ العميق.

لا شك أنها ستشعر بالمهانة لأنها ستضطر إلى مرافقته أينما ذهب، وإلى رؤيته كل يوم. هذا ما فكرت به، وهي تشعر بالغضب من نفسها لأن جسمها بدأ يرتعش ودقات قلبها أخذت تتسارع لمجرد التفكير بالبقاء بقرب دييغو رافاكاني.

* * *

- أو ستفعلين ما يطلبه منك؟

جلس بن مسترخياً على الأريكة وقد أصبح فنجان القهوة الذي قدمته إليه بارداً على الطاولة أمامه. أصغى إلى كل ما أرادت قوله في صمت ثقيل، والآن ها هو ينتظر جواباً عن سؤاله.

راحت ليزا تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، يقودها توتر داخلي مؤلم، فهي لم تستطع أن تجد جواباً لسؤاله. لكنها توقفت عن الحركة فجأة وقد بدت مصدومة، عندما قال لها بن بكل وضوح: «أنت تريدين ذلك، فأنت ما زلت تحبينه. منذ خمس سنوات أقسمت أنك مجنونة بحبه. اعتقدنا أنا

وصوفي أنه غرام متطرف كذلك الذي يصيب المراهقين. لا أحد منا كان يعلم من هو في الحقيقة، لذلك أوصلتك بكلامي إلى أسوأ الاستنتاجات بشأنه. اعتقدت أنه كان يعمل على جعلك تتعلقين به ليتمكن من الحصول على أي شيء منك».

أحنى كتفيه إلى الأمام بقلق قبل أن يرفعهما ثانية وتابع: «تلك الليلة افترضت أن القصة بينكما قد انتهت لأنه لم يحضر. لكن يبدو واضحاً أنها لم تنتهِ بعد».

اعترفت ليزا بنبرة حزينة: «لقد حضر في تلك الليلة».

تساءلت لما لم يبدُ بن غاضباً بجنون بسبب اقتراح رافاكاني، لماذا لم يقسم أنه سيقتل ذلك الرجل إن اقترب منها ثانية. وتساءلت أيضاً، لِمَ لم تسبب لها تصرفاته المدروسة وردة فعله الواقعية الألم.

بجيوية جلست على حافة الأريكة بقربه وقالت: «في تلك الليلة حضر مع امرأة فاتنة وثرية جداً. ثراؤها يبدو واضحاً بمجرد النظر إليها...».

لم تذكر من قبل الملاحظات الدقيقة، فقد بدا لها أن لا أهمية لقول ذلك وتابعت: «... كانت الغيرة تلتهمني. وأردت أن أرد له الصاع صاعين، لذلك عانقتك، أتذكر؟».

- هل أذكر؟!

تحرك في مقعده بعدم ارتياح وقال: «لقد صدمتني؛ فذلك التصرف في مكان عام ليس لأشخاص مثلك. مرّت شهور قبل أن أشعر أنني أستطيع التصرف بسهولة وبطريقة عادية عندما تكونين موجودة بعد تلك الحادثة».

اعترفت ليزا، متجاهلة تمسكه بمظاهر الاحتشام: «كان دييغو واقفاً تماماً وراءنا. قلت له كلاماً وضيعاً حقاً، ولهذا السبب وضع تلك القيود المستحيلة على خطة الإنقاذ. إنه يريد أن يعاقبني، فلقد جرحت كبرياءه العزيزة».

أدار بن رأسه لينظر إليها. شيء ما في تلك النظرة أعلمها أنه قد استسلم وأنه سيتركها لمصيرها. شعرت بالرعب حقاً! فعلى الرغم من

عدم وجود حب وعشق بينهما، إلا أن بن يمثل لها الأمان العاطفي.

- هذا أمر غير معقول، بالتأكيد! فمن الواضح أنك جرحت أشياء أعمق من كبريائه.

تابع بلطف: «خمس سنواتٍ فترة طويلة لرجل مثله ليحمل كل هذا العداء».

قاطعته بحدة: «قلت لك إنه يريد أن يعاقبني».

- وأنت تريدين ذلك النوع من العقاب. أليس كذلك؟

- بالطبع لا!

أنكرت ما تشعر به، لكن خديها اصطبغا باللون الأحمر من فكرة العقاب الذي سيمارسه دييغو عليها.

- إذاً لِمَ لم تقولي له بصراحة إنك لست مستعدة لهذا؟ لماذا تشعرين أنك بحاجة للبحث في المسألة إذا كنت غير راغبة في القيام بها؟ ولا تكرري ذلك الكلام الذي لا طائل منه، كإنقاذ «لايف ستايل» وكل ما يتعلق بها. لأنها إذا انهارت فلن تكون تلك نهاية العالم. فوالدينا سيحظيان بتقاعد مريح وأنا سأجد عملاً آخر في مجال اختصاصي، ولن يكون هناك أية مشكلة...

قاطعته بحرارة: «وماذا عن الباقين؟ سيصبحون بلا عمل. وماغي... ما الذي ستفعله؟».

أثار غضبها الشديد لأنه وضع اهتمامها في خانة الشوق والرغبة الدفينة لتقوم تماماً بما اقترحه دييغو.

قال مفسراً لها: «الشركات تتخلى عن الفائض من عمالها كل يوم. ولا أحد منهم يجوع حتى الموت. إنهم مسؤولون عن أنفسهم. أما بالنسبة إلى ماغي، فهي تقترب من سن التقاعد. وستحظى بتقاعد لا بأس به».

نفخ في الهواء ونهض ببطء عن الأريكة.

- اعترفي بالأمر، ليزي. أنت ترغبين بشدة بالقيام بدور الضحية. أنت وأنا لم نتظاهر يوماً أننا عاشقان. وإذا كنت في أعماقك ما زلت

مغرمة بذلك الإسباني، فاذهبي إليه. لكن كوني صادقة بما تفعلينه، ولا تفكري بأعذار أخرى إلا الحاجة الحقيقية لتكوني بقربه مهما كلف الأمر.

وضع يده على كتفها وضغط عليها بعاطفة صادقة وتابع: «فكري بالأمر، وكوني صادقة مع نفسك، وإذا قررت أن تفعلي ما يطلبه، فأنا أعفيك من ارتباطنا. أنا لا أؤمن بقصص الحب الرومانسية، وأنت تعلمين ذلك، لذا لا أريد زوجة لديها عواطف دفينة نحو رجل آخر، لأن زواجنا لن يكون ناجحاً».

ابتسم لها آخر ابتسامة لطيفة وقال: «احتفظي بالخاتم كعربون محبة بيننا، فأنا أتمنى لك السعادة في حياتك».

لم تعرف ليزا مطلقاً كم من الوقت جلست هناك بعد رحيل بن. شعرت كأنها تجمدت من الصدمة. كيف تخلى عنها بهذه السهولة؟ وكيف تمكن، ببساطة شديدة، أن يضع إصبعه على جرحها ويفهم الموضوع بهذه السرعة؟ هي لا تزال تريد دييغو! ولا تزال مغرمة بذلك الشاب الإسباني الوسيم الساحر الذي مزق قلبها طوال تلك السنين الماضية!

لم تفكر يوماً بأنها ساذجة وحمقاء، لكن هذا ما تراه الآن في ذاتها بقلق وتعب. دخلت إلى غرفتها، غير راغبة بمواجهة صوفي. أغلقت الباب وراءها، واتكأت عليه، ضاغطة برؤوس أصابعها على صدغيها النابضين.

سيأتي دييغو عند الصباح ليعلم ما هو قرارها.

هل ستكون قوية وعاقلة بما يكفي لتطلب منه أن يرحل من أمامها؟ هل بإمكانها أن تترك «لايف ستايل» لقدرها المشؤوم؟ كما قال بن، لن تكون نهاية العالم إذا أفلست المجلة. وإنقاذها ليس سوى عذر لتحقيق ما تريده؛ أم أنها ستوافقه على ما يطلبه، وتذهب للعيش معه؟ تتمتع بأيام جميلة برفقته ثم تتحمل الألم عندما ينتهي الأمر؟ هل تستطيع مقاومة تلك الأفكار الشريرة؟

* * *

خرج دييغو من سيارة الأجرة التي أحضرته من فندق سنترال لندن حيث يقطن هذه الأيام، وطلب من السائق أن ينتظره لأنه لن يحتاج إلى الكثير من الوقت.

شعر بارتجافة قوية مع أنه يرتدي معطفاً من الكشمير الصافي. لكنه وضع اللوم على الطقس البارد في لندن في شهر آذار. اضغط على فمه بتجهم، وفكر أن لا علاقة للألم الحاد الذي يشعر به وتلك الرجفة في أعماقه بجوابها مطلقاً.

إنه يشعر بالاحباط من هذه البلاد بسبب الطقس والشوارع الرمادية والمباني. فهي لا تشبه أبداً بلاده التي تشع حياة وألواناً. هذا هو السبب الذي يجعل روحه ترتجف داخل جسمه. أتراه أصيب بالانفلونزا وهذا ما يفسر العرق المتصبب من جبهته؟

التوى فمه الأنيق بقلق؛ ها هو الآن قد تحول إلى مصاب بوسواس المرض!

ودفع باب المبنى الذي تحوّل من منزل ريفي قديم إلى شقق صغيرة. بدت القاعة الخالية من المفروشات باردة جداً وكئيبة. رأى دراجة ملقاة بجانب الدرج، فبدأ قلبه يقفز كالسمكة الحية المطروحة على اليابسة وهو يصعد الدرج، لكنه رفض التفكير باحتمال إجابة سلبية على عرضه.

ذكر نفسه بقوة أنها منذ خمس سنوات، عندما أحبّها فعلاً، شعرت برغبة قوية في البقاء بقربه، وكان يحتاج إلى كل ما لديه من قوة ليتمكن من الابتعاد عنها. كان يعلم تماماً أنه يرغب بها كما لم يرغب أبداً بامرأة أخرى في حياته. لكنها كانت شابة سريعة التأثر، وأرادها أن تتأكد من عاطفتها نحوه كما كان متأكداً من عاطفته نحوها. لكنها في المقابل وفي تلك الليلة الأخيرة الكريهة حولت اهتمامها إلى كليتون متخلية عمّن افترضت أنه نادل فقير، وكأنه غبار تحت قدميها النحيلتين...

كانت عابثة منذ ذلك الوقت، وبالطبع لم يتغير شيء عبر سنوات الابتعاد، فلا مشكلة إذاً. الموافقة على ما يطلبه كعقاب لها لن يكون أمراً

صعباً بالنسبة إليها. بالإضافة إلى الربح المالي غير المتوقع والذي سينشأ عنه نهضة «لايف ستايل» وهذا أمر بالغ الأهمية بالنسبة لها. كان لديها الليل بطوله لتفكر بكل إمكانيات عرضه. ستختار ليزا بنينغتون دائماً ما هو الأفضل لها.

لقد تمكن منها! إنه متأكد من ذلك بشكل مطلق.

تحولت يداه إلى قبضتين قاسيتين، وازداد توتر جسمه لمجرد ذكرى شوقه إليها وقوة مشاعره نحوها طوال تلك السنين الماضية. كم كان مغرماً بها! إنه السحر الأعمى للوقوع في الحب للمرة الأولى في حياته ما جعله يفكر بطريقة رومانسية، معتقداً أنها ملاك أرسل من الجنة من أجله وحده.

يا له من أحمق!

ضغط بقوة على أسنانه. وصل إلى ردهة الطابق الثاني، وقف أمام باب الشقة التي تسكن فيها، وشعر بظلام يحيط بأفكاره بسبب إحساسه بالشك.

كليتون! أتراها أمرت الشاب المسكين بالرحيل؟ وهل هو الآن يعمل على تضميد جراح قلبه؟ ما زال يتذكر، وبكل وضوح، كل ما شعر به في تلك الليلة منذ خمس سنوات.

في تلك الليلة وفي ليالٍ أخرى لا تحصى لم يتمكن من النوم مطلقاً. سيطر عليه شعور بالألم من جراء التعاطف معه. بعد ذلك، وبتصميم قوي، تخلى عن تلك الأفكار.

ليزا بنينغتون مجرد عابثة. لقد قدم خدمة كبرى لكليتون بعرضه هذا.

رفع يده وضغط بعزم وتصميم على جرس الباب.

marmoria5555

www.rewity.com

٤ - ماذا أقول له

فنجان الشاي الذي تشربه كل صباح بشهية، بدا مذاقه كريهاً. وضعت ليزا الفنجان جانباً مع قطعة الشوكولا، فهي لم تعد تستطيع تناول أي شيء بسبب تشنج معدتها.

الليلة الماضية لم تستطع النوم، ولم تتوقع أن تنام. سألت نفسها بقلق: ما الذي قصده ديغو بالصباح الباكر؟ على الأقل صوفي لن تكون مستيقظة عندما سيصل ديغو ليعرف جوابها.

كانت الساعة قد تجاوزت الثالثة عندما أحست بوصول الفتاة الأخرى التي بالغت بحذرها وهي تسير نحو غرفة نومها، لذلك من المحتمل أن تنام حتى الساعة الحادية عشرة أو أكثر. فاليوم نهار الأحد، وعادة ما تقضي الفتاتان هذا اليوم وهما ترتاحان وتتحدثان بصراحة عن أهم الأعمال الملحة، وعن الثرثرات التي تجري في المجلة.

انتقلت إلى غرفة الجلوس وهي تشعر بعدم الارتياح. ليس هناك أي شيء عادي بالنسبة لهذا النهار.

راح قلبها يترنح في صدرها... هل تقبل؟ هل ترفض؟

سحبت بقوة قميصها الداكنة اللون فوق بنطلونها الجينز الذي يحيط بوركيها بشدة، وتحركت بدون وعي منها نحو المرآة التي علقت فوق المدفأة. ما رأته لم يعطها أي إحساس ولو ضئيل بالثقة بالنفس. بدت كأنها في الثانية عشرة من عمرها، فتنهدت وهي تشعر بالاشمئزاز.

أخفت القميص الفضفاضة كل معالم جسمها الرشيق الجميل، كان شعرها معقوصاً إلى الوراء بعيداً عن وجهها. بدا شعرها باهتاً لا حياة فيه، كذلك بدت عيناها اللتان أحاطتهما هالة من السواد وهما تحدقان بها

بحزن.

قمعت رغبة مفاجئة لتعود إلى غرفتها، ولتقوم بشيء ما لتغيير مظهرها، فاستدارت وسارت نحو المطبخ، إذ لا رغبة لديها لتؤثر به. في الواقع، قد يقرر أنه لا يريد أي شيء يتعلق بها، ويستعيد اقتراح عرضه المشين. سيأخذ قراره الذي كانت تتصارع معه طوال هذا الليل المظلم القاسي من بين يديها.

لو أكلت شيئاً ما ربما ستتخلص من الإحساس المرعب بالارتجاف في داخلها. لكن نظرة واحدة إلى فنجان الشاي البارد جعلها تشعر بالغثيان، فتخلت عن فكرة تناول أي شيء. قفزت كالهرة المذعورة عندما قرع جرس الباب.

ها هو هنا!

إنها لم تقرر بعد أي جواب ستعطيه. جعلها بن تنظر نظرة عميقة وصارمة إلى دوافعها في أي قرار ستتخذه. الاستنتاجات التي توصلت إليها جعلتها تفكر بأشياء بغيضة. في ما يخصها، هي تعلم ما الذي تريده، لكنها لم تستطع إقناع نفسها أن ذلك سيكون الحل الأمثل لها ولدييغو.

نقرة أخرى أكثر إصراراً على الجرس جعلتها تسرع بالخروج من المطبخ على ساقين شعرت كأنهما تحولتا إلى قماش. الضجة ستوقظ صوفي، وهذا سيعرضها إلى مصيبة كبرى. حسناً! عليها أن تختار كلماتها بحذر وعناية عندما ستخبر صديقتها الأعز أن خطوبتها من أخيها التوأم قد فسخت... عليها أن تشرح لها السبب، فبن لن يضع نفسه في وضع مذل بالزواج من امرأة لا تزال مغرمة برجل آخر. هذا ما قرره بنفسه.

راحت يداها ترتجفان وهي تفتح الباب، وسرعان ما التقت عيناها بعيني دييغو الداكنتين النافدتي الصبر. حبست أنفاسها في صدرها، وسيطر ألم شديد على معدتها. ما من رجل يحق له أن يكون بهذه الوسامة وهذه الفتنة! في السابق كانت تبتهج بشدة وسامته وجماله المثالي، أما الآن

وقد أصبح أكبر وأقسى بات هذا يخيفها حتى الجنون.

تنحت جانباً بدون أن تتفوه بأية كلمة، لتسمح له بأن يدخل. لاحظت المعطف الأنيق الحديث الطراز الذي يرتديه بعجرفة تليق برجل فاحش الثراء.

في ما مضى، في تلك الأيام الرائعة من الحب العنيف، كانت تعتقد أنه فقير ولا يملك شيئاً. ظنت أنه شاب شق طريقه بصعوبة لتأمين حياة هزيلة، بينما تنحدر هي من عائلة ثرية. تخيُّلها له على حدود الفقر لم يزعجها البتة، أما الآن فثراءه الواضح يجعلها ترتجف.

راقبته وهو ينقل نظره بانزعاج بين محتويات غرفة الجلوس العادية. بحثت عن شيء ما، أي شيء من ذلك الشاب الإسباني الذي استولى على قلبها الرقيق وامتلكه خلال ذلك الصيف الرائع منذ خمس سنوات، إلا أنها لم تجد شيئاً. لا شيء في عينيه الضيقتين وهو ينظر إلى مظهرها يدل عليه. كما لم يكن في ذلك الوجه النحيل القاسي ما يذكرها بالرجل الذي أحبها... أو بالأحرى تظاهر أنه يحبها. كما أكدت لنفسها بتعب وقلق. لا شيء فيه يشبه الشاب دييغو رافاكاني كما عرفته في السابق. في تلك اللحظة الكئيبة توصلت إلى قرارها النهائي.

- حسناً!

الكلمة الوحيدة القاسية التي تلفظ بها جعلت معدتها تنقلب رأساً على عقب. أصابعه الطويلة أبعدت كم معطفه لينظر إلى ساعته. أدركت ليزا أنه فعل ذلك كإيماءة منه ليهول عليها كي تتلفظ بإجابتها على الفور. رأت الساعة التي يضعها، إنها ليست تلك التي قدمتها له. تلك الساعة كانت أنيقة ومصنوعة من الذهب، أما هذه فهي داكنة اللون ضخمة الحجم. لكن... لِمَ آلها الأمر إلى هذه الدرجة؟

تمسكتَ بآخر ما تبقى لها من رباطة جأشها، وقالت بصوت ضعيف: «يبدو أن الطقس بارد في الخارج. سأحضر القهوة».

أرادت أن تعلمه أن هذا هو بيتها، وأنها لن تصاب بالرعب بسبب

أي شيء. لكن في الحقيقة، اعترفت لنفسها بصدق مؤلم وهي تسير عائدة إلى المطبخ، أنها تريد أن تبعد ولو قليلاً الوقت الذي سترمي فيه المجلة إلى قاع المحيط، وتُبقي زملاءها دون عمل.

لكن الأسباب الحقيقية لمحاولة تأخير جوابها كانت أكثر عمقاً. فما إن تخبره عن رفضها لاقتراحه حتى يرحل إلى الأبد ولن تراه من جديد. رغم أن هذا الأمر يجب ألا يؤلمها وألا يشعرها بهذا الفراغ القاتل، إلا أنها في الحقيقة أرادت أن تكسب مزيداً من الوقت برفقته.

* * *

ما إن أغلق الباب وراءها حتى بدأ دييغو يبذل جهداً كبيراً ليوضح الأفكار المضطربة في رأسه. بدت له هذا الصباح شاحبة كأنها طفلة متشردة، ترتدي ثياباً لا تشبه مطلقاً الثوب الأنيق الذي ارتدته ليلة أمس. رأى بشرتها ناعمة بيضاء كالحليب، وخالية من مساحيق التجميل. جعله مظهرها هذا يشعر برغبة في إبعادها عن محيطها الكئيب، وأخذها بعيداً إلى بلاد الشمس كي يعتني بها ويدللها. ويرى تينك العينين الواسعتين تعودان إلى الحياة لتبدوا مليئتين بالمرح والحيوية، فتبتسمان له كما كانتا تفعلان في السابق.

أيعقل أن يصل إلى هذا الحد من الجنون؟

على الرغم من مظهرها البسيط فإن ليزا بنينغتون امرأة ماكرة. لن يسمح لأي إحساس من التعاطف أن يردعه عن الانتقام الذي خطط له منذ أن علم أن لايف ستايل تسير نحو الهاوية بشكل محتم.

بإمكان ليزا بنينغتون أن تعتني بنفسها بصورة جيدة، فهي معتادة على إيقاع الرجال في شباكها ورميهم بعيداً حين تشعر بالملل. لا شك لديه مطلقاً أنها أمضت وقتها في الجامعة وهي ترمي بشباكها وتغري الطلاب برموشها الجميلة، ما جعل العديد من الشباب بالتأكيد يصدقون أنها تبادلهم الحب بشغف.

صرّ على أسنانه ليتخلص من إحساسه المفاجيء بالغضب... إنه

بالتأكيد شعور بالغضب لا بالغيرة... أخذ يتجول في الغرفة الضيقة، متسائلاً لماذا قررت أخيراً أن تتزوج من ذلك الرجل المغفل كليتون، لأنها اعتبرته وجبة سهلة؟ ربما...! فنظراً إلى محيطها، لا يبدو أنها تعيش في حالة اقتصادية جيدة.

فكّر دييغو أنها على الرغم من خطوبتهما، قد تتخلى عن كليتون. فارتباطها بأي رجل من دون حب لن يكون مشكلة بالنسبة إليها، أليس كذلك؟

هو يعرف سجل حياتها، فما إن بلغت الثامنة عشرة حتى بدأت تتصرف كعابثة. عندما عاملها بكل لياقة، بسبب حبه واحترامه لها حوّلت اهتمامها إلى أقرب شاب وجدته بالقرب منها، وهو كليتون.

أظهر دييغو تكشيرة، وأطلق شتيمة بصوت منخفض. فذكريات تلك الليلة لا تزال تلاحقه وتعذبه حتى في أحلامه. لكنه سينتقم منها الآن، وهو متأكد من ذلك.

قرر التوقف عن ذرع الغرفة ذهاباً وإياباً فوق السجادة الرثة، ورمى نفسه على إحد المقاعد. أغمض عينيه، مستمتعاً بالنصر القادم الحاسم الذي سيجعله يتخلص من تأثيرها عليه.

أخيراً سيصبح حراً. وسيتمكن من العيش بسعادة. عندها فقط سيجد الرضى والفرح مع امرأة تستحق أن تشاركه ما تبقى من حياة، لينشيء معها عائلة ويرزق بأطفال.

لا مجال لليزا بنينغتون أن ترفض عرضه. مع ازدهار ونمو لايف ستايل ثانية على يدي دييغو سيصبح لدى والدها ما يكفي من المال لتدليلها، فلن تحتاج للعمل ثانية لتأمين معيشتها.

تذكرت ليزا وهي تضع الفنجان الخزفي الوحيد وصحنه قرب إبريق القهوة على الصينية أن دييغو يحب قهوته قوية بدون حليب أو سكر. بدأت يداها ترتجفان. تشجعي! قالت ذلك لنفسها وهي تسحب نفساً قوياً وتسير خارجة من المطبخ. هيا انتهي من هذه المسألة برمتها!

إنها بالتأكيد أنانية لتسمح بإفلاس لايف ستايل. لكن كما قال بن، لا أحد سيموت من الجوع. سيتمكن فريق العمل من إيجاد عمل آخر. وماغي، التي هي مركز اهتمامها ستحظى بمعاش تقاعدي.

أما موافقتها على عرض دييغو بمرافقته حتى يمل منها، فسيلحق بها ضرراً يتعذر إصلاحه. هي تعلم أن هذا العرض سينعكس بالسوء على دييغو أيضاً. آه! هو الآن يعتقد أن انتقامه منها سيسعده، وهي تتفهم ذلك، لكن خلف ذلك القناع الوسيم البارد الذي يختبىء وراءه، لا بد من وجود ذرة من الاحترام لنفسه. في وقت ما، سينتهي به الأمر كارهاً نفسه على ما قام به.

لكنه لم يتصرف بشهامة منذ خمس سنوات، أليس كذلك؟ مجرد التفكير بالمرأة التي كانت بقربه تجعل معدتها تنقبض. ومع ذلك ها هو يلقي اللوم عليها على ما حدث، ولديه ميل جنوني للانتقام منها!

توقفت لتدفع باب المطبخ بقدمها كي تفتحه، وقد تجمد جبينها. أيعقل أن يكون غروره كبيراً لدرجة لا يستطيع تحمل فكرة أن مجرد امرأة، أية امرأة، بإمكانها أن تتخلى عنه، حتى لو أنه وجد امرأة أخرى تحل مكانها؟

أو... هل من الممكن أن يكون هناك تفسير بريء لطريقة تصرفه مع تلك الفتاة التي رأته برفقتها؟

بدون وعي منها هزت رأسها نافية ما تفكر فيه. لقد رأت بأم عينها... ألم تفعل؟ لكن بالطبع بعد أن عرفت مؤخراً هويته الحقيقية قد يتغير السيناريو كله. إذ لا حاجة به ليتودد إلى النساء الثريات للحصول على منافع مالية منهن...

بدا الأمر كله مشوشاً، وبات رأسها في فوضى كاملة، ولم تعد تستطيع أن تفكر بطريقة جيدة.

دفعت الباب بكتفها ودخلت منه. حبست أنفاسها في حلقها من الدهشة. كان دييغو منطرحاً على الكرسي القديم وقد أغمض عينيه. كم

يبدو جميلاً! لكنه يبدو أيضاً متأثراً بشكل يدعو للغرابة إلى درجة أنها شعرت بقلبها يتوقف عن الخفقان لأجله. في تلك اللحظة، عاودتها تلك الأحاسيس القديمة. عاودها ذلك الحب العميق الذي شعرت به نحوه، والذي لا تزال تشعر به حتى اليوم!

شعرت بوخز في مؤخرة عنقها، بينما زادت دقات قلبها في صدرها. أحسّت بألم مرارته حلوة، جعل أنفاسها تنقطع... وكأن شهقتها غير الإرادية نبهته إلى وجودها، ففتح عينيه بقوة.

في تلك اللحظة العفوية، التقت عيونهما، فرأى كل منهما في عيني الآخر مرآة لروحه. توقفت ليزا عن مواجهة الأمر بقساوة، وقالت بصوت مرتجف: «سأفعل ما تطلبه مني».

علمت أخيراً أنها لن تستطيع تحمل ابتعاده عنها، وخسارته مرة ثانية.

قفز دييغو على قدميه، فيما زالت عيناه تحدّقان بوجهها الذي اصطبغ فجأة باللون الأحمر. شعر بصدمة ممزوجة بالفرح سرت عبر جسده المتوتر. لقد حصل عليها! وهل خالجه شك في ذلك للحظة واحدة؟ ألم يكن يعلم أن هذه الفتاة الوقحة الجشعة ستأخذ هذا القرار وتلجأ إلى الخيار الأسهل؟

ردة الفعل الوحيدة التي سمح لنفسه بإظهارها هي انحناءة صغيرة من رأسه ذي الشعر الداكن. مدّ يده إلى جيب معطفه الداخلي، وأخرج بطاقة كتب بسرعة على ظهرها وهو يقول:

- هذا رقم هاتفي الجوال وعنوان الفندق الذي أقطن فيه. اذهبي إلى هناك غداً عند الساعة الثامنة مساء. سنبحث خطة رحلتنا أثناء تناول العشاء.

أسقط البطاقة المستطيلة الشكل بلا مبالاة، على صينية القهوة التي أحضرتها واستدار مبتعداً. مذكراً نفسه بقوة أنه لم يعد ذلك الأحمق المشتاق المسلوب العقل. وبحزم منه، قمع إحساسه الفطري بأن يأخذها بين ذراعيه. لكن بإمكان ذلك أن ينتظر، فلا حاجة لإظهار ذلك الشوق

الذي يسيطر عليه.

تسمرت عينا ليزا على كتفيه العريضتين وعلى رأسه ذي الشعر الأسود اللامع الذي يرفعه عالياً بكبرياء، فيما راقبته وهو يسير نحو الباب. أرادت أن تناديه، لتخبره أنها تحبه، وأنها اعتقدت أنها توقفت عن حبه، لكنها الآن تعلم أنها لم تفعل. أرادت أن تشرح له بالتحديد لماذا تصرفت بتلك الطريقة السيئة منذ خمس سنوات.

لكن كبرياءه وقسوته، وردّة فعله القاسية، أو بالأحرى المشمئزة على موافقتها، منعتها من القيام بما تشعر به. بالنسبة إليه ما يحدث الآن هو عمل خاص به، انتقام قاسٍ لرجل متكبر، ولا بد أنه سينظر إلى كل كلام... أو اعتراف بالحب بكره وسخرية.

ما إن أغلق الباب وراءه حتى وضعت قبضة يدها بين أسنانها وعضت عليها بقوة إلى أن شعرت بدموعها الحارة تسيل على خديها.

* * *

ما إن غادرت ليزا الاجتماع العادي للمحررين صباح الاثنين، حتى اقتربت منها سكرتيرة والدها قائلة: «يريدك والدك في مكتبه، الآن. لكن لا تقلقي!».

ابتسمت ما إن رأت ملامح الاضطراب الشديد على وجه المرأة الشابة، وتابعت: «إنه في الحقيقة في مزاج جيد اليوم».

لم يكن مزاج والدها فقط هو ما يقلقها. وهذا ما فكرت به ليزا بحيرة وهي تسير نحو مكتبه. فكل ما يدور حولها الآن أصبح يثير اضطرابها وقلقها.

إخبار صوفي البارحة عن فسخ خطوبتها بدا كابوساً حقيقياً.

بالطبع، استعدت ليزا لمواجهتها بكل ما يمكنها. شرحت لها أنها بعد رؤية دييغو مرة ثانية، أدركت أنها لا تزال تحمل له الكثير من العواطف، وأن الزواج من بن لن يكون عادلاً أو صحيحاً. لم تذكر لها عملية الابتزاز التي قام بها دييغو، لأنها ببساطة علمت منذ تحدثت مع بن أن

إنقاذ المجلة ليس سبب مشكلتها، ولا علاقة له بالموضوع حقاً.

منذ أن غادر دييغو وهي تفكر بالأمر من ناحية مختلفة تماماً. أمضت النهار وهي تحدق برقم هاتفه الجوال حتى أخذت الأرقام تتراقص أمام عينيها.

لو أنه أظهر بعض العاطفة نحوها أو حتى ابتسم لها، لربما شعرت بإحساس مختلف عما تشعر به الآن. لو أنه أخذ يديها كما كان يفعل في الماضي عندما يلتقيان ليمرّر شفتيه بنعومة على عقد أصابعها قبل أن يطبع قبلة طويلة على راحة كل يد، لشعرت بالانجذاب إليه من جديد.

عندما بدلت رأيها ووافقت على ما يطلبه منها شعرت أن كل ما يحتاجانه هو لمس بعضهما حتى يعود ذلك السحر القديم ليجمعهما معاً مرة ثانية. لكنه لم يلمسها وهي دون شك حمقاء فعلاً لتفكر أن بإمكانهما أن يعودا إلى سابق عهدهما، لأن لا شيء ممّا مضى كان حقيقياً.

لذا فهي لا تشعر بالإهانة فقط، بل بأنها غبية. انطبع رقم هاتفه الجوال في رأسها بشكل يتعذر محوه. قررت الاتصال به في اللحظة التي ستعود بها إلى مكتبها، متمنية لو أنها تستطيع إخفاء الألم الذي تشعر به عندما تخبره أنها بدلت رأيها.

رأت والدها يحدق بالمناظر الخارجية عبر النافذة. استدار عندما دخلت وظهرت ابتسامة صغيرة على وجهه القاسي وهو يبلغها: «يمكنك اليوم أن تخلي مكتبك. ففي ظل الظروف المستجدة، لا حاجة لك لتعملي على مقالك. لقد تولى رافاكاني زمام كل الأمور».

- منذ الآن! هل تحدثت معه؟

أمسكت بظهر إحد المقاعد أمام مكتب والدها الضخم كي لا تتعثر.

- لقد غادر للتو. طلب اجتماعاً طارئاً لمدراء المجلة كأول عمل له هذا الصباح.

تابع بنبرة مليئة بالإعجاب: «إنه من رجال الأعمال الذين لا يعرفون الهدوء والمماطلة في أعمالهم. يعجبني هذا النوع، لأنه يبشر بالخير».

لمن؟ سألت ليزا نفسها بحزن ما إن جلست وهي تراقب والدها يسير نحو مقعده، ويجلس عليه وراء مكتبه. أخذت عيناه الباردتان الثاقبتان تنظران إلى ملامح وجهها الشاحب كأنه يراها للمرة الأولى.

- لم يكن لدي فكرة أنكما تعرفان بعضكما. أخبرني رافاكاني كيف التقيتما في إسبانيا، وأنه لم يتمكن من رؤيتك ثانية. كما أخبرني عن موافقتك على قضاء بعض الوقت معه في الأندلس.

سمح لنفسه بإطلاق ابتسامة صغيرة مرة ثانية وتابع: «العبي أوراقك جيداً، وأقنعيه أنك ستكونين الزوجة المثالية له، وعندها ستضمنين نجاح حياتك كلها. أذكرك أن آرثر انتقدك انتقاداً لاذعاً وبن تلقى صدمة كبيرة، فخطوبتكما هي أقصر خطوبة في العالم. لكن سلة رافاكاني تتضمن استثمارات مالية ضخمة، وتعاقد مع أشهر وألمع المحررين، وهذا ما جعل آرثر يعود بسرعة عن قراره بالتخلي عن المجلة».

نظر إليها نظرة تتسم بالحكمة وقال: «أعتقد أن الفضل في إنقاذ المجلة يعود إليك. لا أريد أن أعرف ما هو الاتفاق الذي جرى بينكما، لكنني أستطيع أن أقول لك الحقيقة. لقد تمكنت فعلاً أن تعوضي عن كونك لست الصبي الذي كنت أرغب به دائماً. فأنت فتاة صالحة».

إذاً تمكنت أخيراً من الحصول على رضاه! لكن بأي ثمن؟ ابتلعت ليزا الدموع التي كادت تنهمر على وجهها. لا فائدة من القول لنفسها إن ذلك غير مهم، وإنها اعتادت على التعايش مع عدم اهتمامه. لقد انتظرت طوال حياتها للحصول على حنانه ورضاه، لتجعله يعترف، بأنها جزء منه، وبأنها ابنته! إنه شعور لم تستطع التخلص منه يوماً. وفي هذا الوقت بالذات هي بحاجة إلى دعمه هذا لتتمكن من الاستمرار، ولتتمكن من إرضائه عليه ألا يعلم القصة الحقيقية بينها وبين دييغو.

إذاً فهي لن تتصل بدييغو... لا يمكنها هذا... ليس بعد الآن.

إذا فعلت، سيعمد إلى سحب كل التقديمات لإنقاذ المجلة. ووالدها سيضع اللوم عليها من جديد وسيكرهها بدون أدنى شك!

أحسنت صنعاً بالاحتفاظ بالفستان الأسود القصير! هذا ما اعترفت ليزا به بسخرية وهي تدفع المال لسيارة الأجرة، وتدخل ردهة أحد أفخم وأهم فنادق لندن.

أرادت أن تسلي نفسها بأي شيء يمنعها من التفكير بالمهانة التي ستتعرض لها لاحقاً.

لقد استحمت وارتدت ثيابها كأنها رجل آلي. رفعت شعرها إلى أعلى رأسها، وارتدت قرطين من اللؤلؤ في أذنيها وتمهلت في وضع الزينة على وجهها.

أخيراً تأملت النتيجة النهائية برضى وحزن في آن، فهي تعلم أنها تبدو باردة، هادئة وصعبة المنال. المرأة الجليدية! هذا ما أرادت قوله لها صديقتها صوفي لو لم تكن غاضبة منها لدرجة أنها لم تعد تتكلم معها مطلقاً.

قالت صوفي لها البارحة: «كنت دائماً أفكر بك كأختي الصغرى، وصديقتي الأغلى، وكم أسعدني أن تصبحي جزء من العائلة. لكن لا تنسي، أنني أنا من أقنع بن بتلك الخطوبة. نصحته بأن يتقدم لخطبتك كي يبقى جميعاً عائلة محبة صغيرة!».

لم تكن ليزا على علم بذلك. لكنها وجدت ما سمعته منطقياً. لا بد أن بن فكر كثيراً ولمدة طويلة بما اقترحته عليه أخته، وتوصل إلى القبول بهذا الزواج التقليدي. فهو لا يملك حساً رومانسياً أو حباً للمغامرة، وإذا فكر في الزواج في مرحلة ما، لينشىء عائلة، فبإمكانه الارتباط بابنة شريك والده. فهما يحبان بعضهما كثيراً، وهما يعرفان بعضهما جيداً، ويعرف كل منهما عن الآخر كل التفاصيل. بعد القصة التي ندمت عليها مع النادل الإسباني لم تقدم ليزا على أية خطوة خاطئة ولم تقابل أي شاب مطلقاً. فمن أين له بفتاة أفضل؟!

تنهدت بعمق، فهي تعلم تماماً كيف يفكر بن، ويمكنها أن تعرف بالتحديد الحوار الذي جرى بينه وبين نفسه.

والآن، ها هي قد فقدت صوفي، صديقتها الأغلى وكذلك بن. لن يعود الثلاثة إلى ما كانوا عليه في السابق أبداً. وعندما ينتهي منها دييغو، ويرميها جانباً كأنها شيء تافه، لن يبقى لها لا كبرياء ولا احترام لنفسها، ولا حتى عمل.

عزفت رقم غرفته، فاستقلت أحد المصاعد. شعرت بتوتر جهازها العصبي، فتنفست بعمق وهي تقف في الطابق الذي تريده. ستعمل على مجاراة مزاجه، خطوة بخطوة. إن بدا قاسياً ومتعالياً، فستكون كذلك هي أيضاً.

ستكون جافة إلى درجة الفظاظة، إذا كانت هذه هي الطريقة التي سيعاملها بها. الاحتفاظ بعاطفتها مخبأة هي الطريقة الوحيدة للدفاع عن نفسها. فإن عاشت لمرة ثانية مع قلب محطم سيستحيل عليها أن تداويه من جديد.

ثراؤه الفاحش أعطاه القدرة ليشفي غليل غضبه بالانتقام، لكن هذا لا يعني أن يحصل على أي نوع من الرضى والثقة بالنفس من جراء ذلك. إذا أراد التقرب منها ليتمكن من الحصول عليها، فهذا ليس إلا جزء من المساومة القذرة، وهي ستعرف كيف تتعامل مع ذلك الاتفاق الجهنمي. فهو لن يتمتع أبداً برفقة كتلة من الخشب أو الجليد.

هذا سيكون انتقامها!

marmoria5555

www.rewity.com

٥ - رحلة الأحلام... والآلام

بدت ليزا غافلة تماماً عن الغنى الفاحش لجناح دييغو في الفندق. . لم تتحرك أكثر من خطوة واحدة عبر الباب الذي فتحه لها بعد دقة يدها المترددة. لم تبتسم، وبالتأكيد لم تستطع الكلام.

لم تنظر إليه، بل ركزت نظراتها على قطعة صغيرة من السجاد الناعم ذات لون قشدي أمام قدميها مباشرة، لكنها شعرت بقوة بوجوده ما جعل رأسها يدور ودقات قلبها تتزايد بين ضلوعها. أبقت أسنانها مضغوطة بشدة فوق بعضها البعض، لأنها إن استرخت ستتبدد تلك القبضة الحديدية التي تمسك نفسها بها، وستشعر بالارتجاف بسبب توتر أعصابها.

- لا تمشي هكذا!

اعتراضه بصوت أجش أعادها إلى رشدها. من المفترض بها أن تقدم له التعامل البارد ذاته الذي يعاملها به، لا أن تتصرف كالضحية الخائفة بانتظار سقوط السيف القاطع عليها. أليس كذلك؟

رفعت رأسها ببطء، وعمدت إلى إظهار نظرة جليدية في عينيها الزرقاوين. إنها بحاجة إلى قوة كبيرة لتتمكن من إظهار تعابير عدم الاهتمام والتعالي وهي تنظر إلى ذلك الوجه الغامض الوسيم، وهي تعرف في قرارة نفسها أن كل ما عليه أن يفعله هو أن يقول كلمة واحدة لتذوب كرقائق الثلج فوق الجمر المشتعل.

رفعت ذقنها إلى الأعلى ما إن بدأت عيناه الباردتان الجميلتان في النظر إليها لتقيّمها، ما تسبب بتسارع في نبضها. تجاهلت اضطراب معدتها، وقالت بوضوح وصراحة بقدر ما أمكنها ذلك: «أخبرني والدي أنك بدأت بتطبيق ما يتعلق بك من اتفاقنا».

رفعت كتفها قليلاً باستسلام. هل يمكنها أن تتابع بهذه الطريقة المتعالية، وبلا مبالاة؟ لا فكرة لديها، لكن يمكنها أن تحاول.

- يمكننا أن نبدأ بتطبيق دوري في الاتفاق، أيضاً.

هذا أقل ما تستطيع قوله لتعلمه أنها تضع اتفاقهما في خانة العمل الممل فقط، فليس هناك أي وجود لأية عاطفة.

- إذا كانت هذه دعوة فأنا لست سعيداً على الإطلاق.

ظهر الضيق على فمه القاسي. يا إلهي، إنها قاسية كالمسمار! كان عليه أن يتوقع ذلك، أليس كذلك؟ فهي لم تظهر أي تردد من فكرة استعمالها كآلة لإنقاذ المجلة. منذ خمس سنوات وقع في أوهام الحب بعمق مع ملاك رائع كريم بريء. أي قدرة من التمثيل تملكها!

مع ذلك، فهي لا تزال جميلة، وربما ازدادت جمالاً. فعيناها لا تزالان قادرتين على جعل روحه ترتجف، وجسده يتألم من الشوق إليها. سوف يحصل عليها، لكن ضمن شروطه هو...

تراجع خطوة إلى الوراء، وأشار بيده إلى طاولة وضعت أمام نافذة كبيرة تطل على المدينة المليئة بالأضواء والحياة، وقال بهدوء: «أفضل أن تكون علاقتنا مميزة، وهكذا سنبدأ ونتابع حتى النهاية. طلبت العشاء، وبينما نحن نأكل سنبحث باتفاقاتنا المستقبلية».

بعد أن أنهى تلك الملاحظة الباردة، وضع دييغو يده بنعومة على ظهرها ليشجعها كي تسير نحو الطاولة الأنيقة. في تلك اللحظة وصلت العربة من قسم خدمة الغرف، يقودها ببراعة نادل هادىء الوجه.

كانت ليزا ترتدي الثوب الذي ارتدته في الحفلة الخيرية. لاحظ دييغو أنه ثوب أنيق من الحرير، صُمم ليظهر رشاقة قوامها وجمال جسمها. شعر بأوصاله تؤلمه بشدة. لو أنهما بمفردهما لضمها بين ذراعيه...

آه! لكنه بذلك يفسد خطته... المطلوب ألاّ يلمسها... ليس بعد. أبعد يده بهدوء، وسار أمامها ليمسك لها الكرسي لتجلس عليه، ثم جلس على الكرسي المقابل، وهو يشعر بالغضب من نفسه لأنه لا يستطيع

السيطرة على نفسه عندما يتعلق الأمر بها.

أخذت تراقبه، وقد تعمدت أن يبدو وجهها جامداً كالحجر. فكرت كم أثرت بها لمسة يده! حسدته ليزا على كياسته وهو يتحدث إلى النادل بشأن الطعام والشراب الذي طلبه. كان يرتدي بذلة رمادية أنيقة المظهر وقميصاً بيضاء عليها خطوط رمادية باهتة اللون، تناسب تماماً بشرته السمراء...

رفعت شوكتها ما إن انسحب النادل من الجناح؛ لم تكن جائعة أبداً، لكن هذا الطعام الشهي في الصحن سيعطيها شيئاً لتفعله.

قالت تتحداه: «أعتقد أنك تريد أن تبحث بوضعي المؤقت كمرافقة لك».

تمنت أن تجعله نبرتها العملية يشعر أنها تريده وترغب به بقدر ما ترغب بحشرة ضخمة سوداء في وسط صحن من السلطة.

لكن رد الفعل الوحيد الغامض الذي قام به هو رفع أحد حاجبيه بازدراء قائلاً: «وضع المرافقة لي هو أكبر بكثير مما أخطط له».

رفع كوبه ليشرب منه، وتابع يسألها: «هل يمكنني أن أعتبر أنك تملكين جواز سفر صالح للاستعمال؟».

كلامه هذا أعادها إلى وضعها. إنه فعلاً لا يحترمها!

جاء صوتها حاداً وهي تجيب عن سؤاله: «بالطبع! لماذا؟».

- سنغادر إلى أحد المنازل التي أملكها في إسبانيا. أما في الوقت الحاضر فسأكون منشغلاً جداً مع المحامين بتنظيم الشؤون المالية للمجلة، وبتعيين ممثل شخصي لي ليتمكن من نقل «لايف ستايل» إلى القرن الحادي والعشرين. لن نتقابل ثانية حتى نهار الجمعة عندما سأذهب لأقلك معي في طريقي إلى المطار.

ما كان على ليزا أن تتفاجأ وتصاب بالذعر من تلك الكلمات، لكن هذا ما حدث لها. فخلال المقابلة مع والدها في الصباح شعرت بالذهول للسرعة التي تصرف بها دييغو. أما ما أثار غضبها فهو أنها لم تستطع أن

تبدل رأيها لأنها لا تستطيع تحمل خسارة ما لم تحظ به من قبل أبداً، وهو رضى والدها. كما أن مسألة إخلاء مكتبها لم تثر لديها أية ردة فعل، أيضاً. فبوجود محررين أكفاء جدد لا أحد يريدها هناك، لأنها ستكون كالسمكة خارج الماء.

شعرت بغثيان في معدتها لم تشعر به من قبل، مع أنها أصبحت معتادة على هذا الأمر منذ أن عاودت الاتصال بدييغو رافاكاني ثانية.

ما دامت هنا في لندن في هذا الطقس البارد لأوائل الربيع، ستتمكن من التظاهر بعدم المبالاة، على الرغم من صعوبة ذلك. لكن هناك في إسبانيا، حيث بدأ كل شيء بينهما، لن تتمكن مطلقاً من تحمل ذلك الألم الحلو المر.

وضعت ليزا شوكتها جانباً، واشتبكت نظراتها بنظراته. احتاجت لبعض الوقت لتتمكن من كبت وخزة الألم الحاد المفاجىء في أوتارها الصوتية. علقت بضيق: «صحح لي إن أخطأت: أنت لم تذكر أية كلمة عن الذهاب إلى إسبانيا، اعتقدت...».

قاطعها دييغو بقسوة:

- اعتقدتِ أننا سنلتقي عدة مرات أثناء وجودي هنا في إنكلترا، وسيكون ذلك كافياً لدفع دينك.

ضغط بقوة على قاعدة الكوب الذي يحمله وتابع: «لا! ليس الأمر كذلك. عندما ستعوضين علي عن تصرفك السابق منذ خمس سنوات، سيكون ذلك في المكان والوقت اللذين أختارهما بنفسي».

وتابع في سره: عندها لن تعتبر هذه الوقحة أن البقاء معي عمل ضروري ومزعج، يشبه القيام بالأعمال المنزلية. ستكون راضية ومشتاقة كما كانت منذ خمس سنوات. وسيجعلها تعلم وللمرة الأخيرة ما المعنى الحقيقي لرفض شخص ما ونبذه.

لاحظت اللون الداكن المفاجىء الذي ظهر على خديه، ولمعان عينيه القاسيتين تحت رموشه الكثيفة. وقررت أن الوقت حان لتوضيح كل

الأمور. عندئذ لا شك أنه سيعيد التفكير بما يفعله، ويدعها ترحل، وربما سيعتذر منها ويعدُها وهو نادم أنه لن يسحب عرضه في الاستثمار في المجلة.

لكن هل تريد ذلك حقاً؟ في مكان ما في داخلها، سمعت صوتاً ينتقدها بشدة لأنها ما زالت تشتاق إليه على الرغم من تظاهرها بالعكس، ولأنها ما زالت تتمسك بأمل أحمق يحثها على التفكير بأنه سيقع في حبها من جديد. أتراه سيقع بحبها فعلاً هذه المرة، ولا يعتبر علاقتهما مجرد لهو مع فتاة مراهقة حمقاء؟ في ما مضى لم يكن يقصد كلمة واحدة مما قاله لأنه كان يمضي أمسياته، ليس بالعمل كما كان يقول، بل بالمرح مع فتاة فاتنة ثرية من مستواه. فتاة تعرف تماماً كيف تسعد رفيقها.

لا! إنها تدين لنفسها بالتملص من اتفاقه المهين إذا كان بإمكانها أن تفعل ذلك. تدين بذلك إلى ما تبقى من سيطرتها على نفسها وكرامتها. أمسكت الكوب الذي لم تلمسه حتى الآن، وسألته: «ألا تعتقد أنه يجب علينا التحدث بالأمر؟».

رفع حاجبه الأسود قليلاً، وكان ذلك التعبير الوحيد على ذلك الوجه الوسيم الخطر، ثم قال: «أعتقد أننا فعلنا ذلك».

- لا! لا أعني الشروط والاتفاقات المتبادلة.

قالت ذلك بقوة، وهي تعي بخوف اللون الأحمر الذي اصطبغت به بشرتها.

- أستغرب أنك ما زلت غاضباً جداً مني على ما حدث في تلك الليلة منذ سنوات. إنه وقت طويل جداً لحمل ذلك الحقد كله، دييغو.

تابعت بنعومة، آملة أن يستمع إليها، أو على الأقل أن يفهم أن اللوم لا يقع عليها بالكامل: «أعلم أنني تصرفت بغباء كامل، لكن...».

- توقفي عن الكلام! لا رغبة لدي لأصغي إلى سلسلة من الأكاذيب كان لديك الوقت الكافي لتخترعيها!

لمعت عيناه السوداوان بازدراء كبير، وقال لها بوضوح تام: «قد تبدين

كأنك ملاك، لكنك تكذبين كالشيطان! لقد رأيت ما رأيته، وسمعت ما سمعته، وانتهى الأمر!».

نهض واقفاً على قدميه، دافعاً كرسيه إلى الوراء.

ارتجفت ليزا، وقد أحست كأنها أصيبت بجرح اخترق قلبها لأنه يكرهها بهذه القوة. امتلأت عيناها بدموع لا ترغب بها بينما راح ديبغو يذكرها بصوت هادىء: «الماضي أصبح بلاداً بعيدة جداً، فانسيه. ركزي على المستقبل، وعلى دفع ديونك. وعندما ينتهي ذلك العقاب، يمكنك أن تنسيه أيضاً».

... وهي أيضاً ستصبح منسية، تماماً كما يقول! وقفت ليزا أيضاً بقوة. إنه شرير، متحجر القلب! كيف يمكن لها أن تكون بهذا الغباء لتتخيل أن علاقتهما قد تتطور؟ لقد تغيّر ديبغو بشكل لا يمكن إنكاره.

واجهته، وعيناها مليئتان بالدموع، فتقابلت عيونهما... فكرت أنه ربما لم يتغير أبداً... أتراه كان دائماً قاسي الفؤاد هكذا؟

قالت له منقادة بعنف قوي: «أكرهك!».

- آه! هذا أمر جيد.

سار ببطء ويتعمد حول الطاولة ليصل إليها. غلفت فمه ابتسامة ناعمة جعلتها تشعر بالرغبة في الابتسام. أمسكت يدان قويتان بوجهها بلطف مؤلم جعلها ترتجف.

قال ديبغو: «أية عاطفة قوية هي أفضل بكثير من عدم المبالاة. أليس كذلك؟».

بعدئذ قام بما كانت تتمناه في سرها، وتخاف منه في الوقت نفسه. ضمّها إليه وعانقها...

تفجّر عناقه هذا كالبركان في داخلها، دافعاً موجات الصدمة إلى كل عصب في جسمها. قابلت شوقه المفاجىء بيأس كبير شتتها، وجعلها ترمي بنفسها على صدره القوي، واضعة يديها حول عنقه، وشابكة أصابعها في شعره الأسود الناعم.

جاء ذلك العناق مليئاً بالعاطفة القوية... إنه كل ما تريده، وهو الرجل الوحيد الذي أحبته في حياتها.

كان جسمها يرتجف، وركبتاها تصطكان، عندما أوصلها ديبغو بعد وقت قصير إلى سيارة الأجرة التي طلبها لتوصلها إلى منزلها. بدت أفكارها مضطربة. كيف تمكن أن يبعدها ببساطة عنه؟ تخلى عنها ببرودة، وعلق ببساطة أنه حان الوقت لها لتعود إلى منزلها، بعد أن ذكرها أنه سيتصل بها صباح نهار الجمعة عند الساعة السابعة والنصف. راحت تلك الكلمات ترن في أذنيها وهي تشعر بالخجل من نفسها.

فوق ذلك كله، زودها بتهديد صريح مفاده أنه سيجدها إن اعتقدت أنها تستطيع الهروب والاختباء.

بعد مرور ساعة ارتمت فوق السرير وهي لا تزال في حالة من الصدمة العميقة، ومعظمها بسبب تصرفها الشخصي الذي أفصحت عنه. ديبغو رافاكاني هو مجرد حشرة شريرة، وهو يعمد إلى ابتزازها. إنه متكبر، واثق من نفسه... حتى إنه رفض بشدة أن يسمع كلمة واحدة مما أرادت قوله لتدافع عن نفسها. نعتها بالكاذبة، وهذه الكلمة وحدها كافية لتبعدها عنه لأجيال وأجيال. لكن لا! آه، لا! إنها، على العكس من ذلك، جعلته يدرك كم تحتاجه وكم هي مشتاقة إليه، وكم تبدو متوترة بقربه...

إنها لا تزال تحبه! بكت حتى امتلأت وسادتها بالدموع، فهو الرجل الوحيد الذي أحبته يوماً. بغض النظر عن الأفكار الوضيعة التي يتخيلها عنها، فهي لم تحب يوماً أحداً سواه.

لا بد من وجود أمر خاطىء أو خلل في شخصيتها ما دامت تستطيع أن تحب رجلاً بدون ضمير. رجل يريد إجبارها على البقاء معه كفعل انتقامي، بعد أن أقنع نفسه أن اللوم يقع عليها لتسببها بإهانة كبريائه الغالية، في حين أنها كانت يافعة جداً لتدرك ما الذي تفعله.

بدا لها المستقبل أكثر كآبة وغموضاً من صورة طبيعية للقمر. وشعرت أن لا قدرة لها على تحمله...

كانت سيارة دييغو الرياضية بانتظاره في المطار، وقد وصلت إلى هناك بفضل موظفيه الإسبان. هذا ما استنتجته ليزا. بدا مزاجها متوتراً لأنها أمضت معظم لياليها بلا نوم.

دق جرس المنبه لكي يغيظها في اللحظة التي غلبها فيها النعاس أخيراً. لم يتحسن مزاجها عند رؤية دييغو الذي وصل بالتحديد عند الساعة السابعة والنصف.

سألها بنشاط واضح: «هل أنت جاهزة؟».

بدا واضحاً أنه تمكن من الحصول على ثماني ساعات كاملة من النوم، ثم أخذ حماماً منشطاً وتناول فطوراً شهياً.

- لم أنمِ توضيب حقائبي.

تلك كانت كذبة، فهي لم تبدأ بعد. منذ تلك الأمسية في جناحه في الفندق وهي تتمنى أن يحدث شيء ما يدفعه لإلغاء هذا الأمر برمته. لكنه لم يفقد ذاكرته بطريقة عجائبية، وهي لم تتعرض لحادث ما.

- إذاً، أقترح عليك أن تنتهي مما تفعلينه. فسيارة الأجرة بالانتظار. إذا كنت دائماً بهذه الصورة من عدم التنظيم فإنني أتعجب كيف يمكنك أن تتولي زمام أي عمل كان، حتى العمل الذي اخترعه لك والدك الكريم.

ارتفع مستوى توترها ألف مرة... ما الذي يعرفه عنها وعن والدها؟ قالت بغضب وبسرعة: «أبي ليس كريماً».

وسارت نحو غرفة نومها لتسحب الثياب من الأدراج والخزانة وتضعها بعدم ترتيب في حقيبة صغيرة.

منذ تلك اللحظة وهو يعمل على إثارة التوتر والقلق في حياتها. في الطريق نحو المطار، وأثناء إتمام الإجراءات القانونية هناك، كان يتصرف بتهذيب مطلق وبمهارة عملية ملفتة. كأنها غريبة فعلاً عنه وقد وجد نفسه مجبراً على مرافقتها، بينما هي في الواقع المرأة التي يبتزها بقساوة ويريد أن يجعلها رفيقته المؤقتة.

بعد أن قاد دييغو السيارة لمدة ساعة انطلاقاً من المطار، سألها: «ما

الذي قصدته عندما قلت إن والدك ليس كريماً؟».

أبعدت ليزا نظراتها عن الطريق الضيقة الملتوية عبر الجبال، وحدقت بثبات بجانب وجهه المعبر الوسيم. إنها الملاحظة الشخصية الأولى التي قالها منذ أن دخلا سيارة الأجرة في لندن.

رفعت كتفيها بلا مبالاة، وأعادت انتباهها إلى المناظر التي تمر أمامها. بين الحين والآخر كانت تلمح لمعان البحر. على العكس من طقس لندن، كان الهواء الدافىء يلفها بترحيب حار.

- قصدت تماماً ما قلته.

علاقتها بأبيها أمر لا ترغب في التحدث عنه مع أي كان. عمدت إلى تبديل الموضوع وسألته: «إذاً، إلى أين نحن ذاهبان؟ وكم من الوقت نحتاج لنصل إلى هناك؟».

توترت كتفا دييغو وهو يمسك بالشريط الذي يثبت شعرها ويزيله بسهولة وخبرة. من تعتقد أنها تخدع بحق السماء؟

لا بد أنها دُلّلت حتى الفساد منذ ولادتها. أي أب لا يعطي كل اهتمامه إلى فاتنة ساحرة مثلها، لاسيما بعد أن خسرت أمها في عمر صغير وحساس؟

عاودته ذكرى مرّت معه منذ خمس سنوات، بدت واضحة في فكره تماماً ككل الذكريات التي لا تحصى والتي عذبته وأغضبته لفترة طويلة. يوم أضاع ساعته، نزعت ساعتها لأجله. تلك الساعة كانت تكلف ثروة صغيرة. وعندما قال لها ذلك رفعت كتفيها ببساطة وقالت: «إنها هدية عيد ميلادي من أبي».

وكأنها شيء تافه لا قيمة له.

الطفلة الفاسدة المزعجة أعطيت عملاً ذا محترماً يتطلب تحمل مسؤولية كبيرة في المجلة مع أن المؤسسة برمتها كانت تتراجع، وكانت بحاجة إلى كاتب متمرس. أمّا الثوب الرائع الذي كانت ترتديه في حفلة خطوبتها، فلا بد أنه كلف أيضاً ثروة صغيرة. والمال الذي دفعته ثمناً له، لا بد أن

مصدره والدها الكريم.

ولّد لديه تحليله هذا سلسلة مختلفة كلياً من الأفكار، فسألها: «كيف تقبل بن فسخ الخطوبة؟».

لقد لاحظ غياب الخاتم الماسي... تذكر ألمه البائس عندما أبلغته هذه المدللة الصغيرة بأن عليه أن يرحل ويتركها وشأنها. وتساءل، وهو يشعر بالذنب، إذا ما شعر بن كليتون بشعوره نفسه. أم تُراه قدّم خدمة إلى ذلك المغفل المسكين؟

ردت ليزا عليه بحدة: «هذا الأمر ليس من شأنك، أليس كذلك؟».

كيف يمكنها إخباره أن علاقتها ببن كانت علاقة خالية من العاطفة، وليست قائمة إلا على التفاهم والاحترام المتبادل؟ وأن بن كان حكيماً بما فيه الكفاية ليعلم أن الزواج الذي سينتج عن هذه العلاقة لا يمكن أن يستمر إذا كان أحد الشريكين ما زال مستعبداً لحب قديم مضى؟

ذكرته بعصبية: «وأنت لم تُجب بعد عن سؤالي، لدي الحق بأن أعرف إلى أين تأخذني».

توقعت منه أن يقول لها إن لا حقوق لديها مطلقاً، وأن يستمر بالتحدث عن فسخ خطوبتها.

تفاجأت عندما أجابها برصانة: «إلى المخبأ المفضل لدي. ذلك المنزل كان ديراً، وعائلتي نادراً ما تستعمله هذه الأيام. تلك المنطقة ليست معتادة على وجود السياح فيها مع أن جمالها وهدوءها لا مثيل لهما. فلا أحد يعكر صفوهما، بعكس ماربيلا».

أضاف بعد قليل بنبرة جافة: «لن تجدي أناساً لطفاء، ولا متاجر مشعة، أو يخوتاً رائعة أو حتى فنادق مميزة لتثير انتباهك. كل ما سيشغلك هو الاهتمام بشؤوني».

كان عليها إبقاء فمها مغلقاً! هذا ما اعترفت به ليزا وهي تشعر بالانزعاج. فأي شيء ستقوله سيتمكن من الرد عليه بشيء ما، مصمماً على إسكاتها وإذلالها.

الأيام القادمة، أو الأسابيع القادمة تعدها بأن تكون كابوساً من الألم والاحباط. هذا ما اعترفت به لنفسها... وغابت المناظر الريفية الجميلة تحت ضباب من الدموع الحارة المؤلمة.

www.rewity.com marmoriabooks

٦ . ثلج ونيران

لم تستطع ليزا أن تجد عيباً في مخبأ دييغو المفضل من ناحية الجمال أو الراحة. بني المكان من قرون مضت بأحجار ملساء ذهبية اللون. هذا الدير السابق يطل على مناظر رائعة من الوديان المزروعة والغابات الكثيفة والتلال التي تظهر من بينها لمحات من البحر الأزرق الرائع، الواقع خلف سلسلة من الجبال الضخمة.

كما أنها لم تستطع أن تجد عيباً في تصرفات دييغو. هذا ما قالته لنفسها بغضب وهي تسير عبر المدخل الحجري الواسع في ضوء الفجر الناعم. وهذا ما يحيرها!

ما يثير حيرتها هو أنها أعطيت جناحاً خاصاً من الغرف، وهي غرف جميلة مريحة، إلّا أنها لم تكن ترى دييغو إلا قليلاً. لم تقم بأي شيء إلا البقاء كضيفة في منزله. كان يلتقي بها أثناء وجبات الطعام، فتبهجها محادثته، فأحاديثه شاملة وعامة على الدوام، ومن الصعب عليها تحملها لأنها غير شخصية بشكل مؤلم. وفي كل الأوقات كان يبدو كأنه لا ينظر إليها بصورة مباشرة، بل بل كأنه لا يراها أبداً.

بين فترات الطعام كان دييغو يذهب إلى مكتبه، شارحاً بتهذيب مطلق أن لديه الكثير من العمل، تاركاً إياها لشؤونها الخاصة ولأفكارها المقلقة.

ضغطت بيديها على الحجر الدافىء للدرابزين.

لماذا يتصرف كهرة برية كبيرة، يطارد ضحيته وهو لا يشعر بالجوع نحوها، ولا يدعها تبتعد عن نظره؟

شعرت بتوتر شديد وباضطراب في أفكارها. وكأن أطراف أعصابها

تقفز كبرغوث على صفيحة ساخنة.

- تستيقظين باكراً كالعصافير. ألا تستطيعين النوم؟

الصوت الناعم الأجش غير المتوقع جعل شعر مؤخرة عنقها يقف، وجعل قلبها يقفز إلى حلقها كأنه حيوان خائف مذعور. وضع أصابعه الرشيقة على كتفيها وأدارها ليرى وجهها.

بدا دييغو جذاباً كالعادة... لاحظت ذلك بتوتر شديد. فهو يرتدي هذا الصباح بنطلوناً بلون القشدة وقميصاً خضراء بلون الزيتون دسها تحت حزام خصره الضيق. ملامح وجهه الوسيمة بدت رقيقة، لكن بدلاً من أن ينظر بضبابية كما كان يفعل دائماً، راحت عيناه السوداوان تنظران إليها، كأنه يجري مسحاً شاملاً لوجهها المتوتر.

وجوده بالقرب منها هكذا زاد من توترها. حاولت ليزا أن تهدىء من توتر أنفاسها وأعصابها. نظراته التي شملتها جعلتها تشعر كأنه يلمسها حقاً.

رفع يده عن كتفها كإجابة عن السؤال الذي لمع في عينيها ولم تسأله. أبعدت أصابعه الطويلة السمراء خصلة من الشعر عن وجهها، ولمس بظهر تلك الأصابع بشرتها بنعومة مميزة.

شعرت بالحرارة... حرارة لا تُحتمل... كأنها تحترق. حاولت أن تجعل وجهها خالياً من أية تعابير، وكأنه مصنوع من حجر. أتراه يدرك ما الذي يفعله بها؟ ببطء أبعد يديه الاثنتين وقال معلقاً بخفة: «الفطور بانتظارنا. رأى بلير أنك نهضت وأصبحت جاهزة فاعتقد أننا قد نفضل تناول الطعام في الحديقة. تعالي!».

ركزت ليزا نظراتها على قامته الطويلة وعلى رشاقة خطواته، وهو يسير أمامها ليفسح لها الطريق. شعرت أنها على وشك الانهيار عندما جلست على مقعدها في وسط الحديقة، التي كانت مظللة في هذا الوقت من الصباح، ومحمية من حرارة الشمس التي ترتفع بسرعة كبرى.

سمعت هديل الحمام الأبيض وهو يحط على الأشجار التي تطل من

فوق الجدران الحجرية العالية، فيما كانت رائحة الهواء مشبعة بعطر الزهور المختلفة.

ها هو المضيف اللطيف المجامل كالعادة... ! سكب دييغو لها العصير، وقدم لها وعاء مليئاً بالفاكهة الطازجة، اختارت منها ليزا حبة دراق. لم تكن تشعر برغبة في تناولها، إلا أنها كبتت رغبتها بالصراخ في داخلها.

إذا كان سيفعل هذا اليوم كما كان يفعل في الأيام السابقة، منذ وصولها إلى هنا، فهو سيتحدث معها بلطف فيما هما يتناولان الطعام، ثم سيقترح عليها أن تذهب للسير قليلاً قبل أن يشتد الحر، ثم يعتذر بتهذيب ويمضي وقته بعيداً عنها في مكتبه.

في هذه الحالة ستقوم ليزا بدورها الذي قررته لنفسها؛ سترفع كتفيها بملل ظاهر، وكأنها غير مهتمة البتة. تساءلت لكم من الوقت ستستطيع الاستمرار في ادّعاء عدم الاهتمام واللامبالاة!

لن تسأله لماذا لا يمضي القليل من الوقت معها، فهذا أمر مرفوض كلياً. ألم يقل إنه يريد منها الاهتمام بشؤونه لأربع وعشرين ساعة في النهار؟ هذا هو السبب الرئيسي لإحضارها إلى هنا، أليس كذلك؟ فكرت بذلك باستغراب محاولة أن تجد عذراً للشوق الذي تشعر به نحوه.

- سنذهب في نزهة إلى ماربيلا هذا الصباح.

أفصح دييغو عن ذلك وهو يضع فوطته جانباً، ثم تابع: «يبدو أنك أحضرت معك بنطلونات جينز وقمصان سميكة، وهذه الثياب مناسبة لإمضاء أيام العطل في لندن الباردة، إلا أنها ليست مناسبة لهذا الطقس وهذه الأجواء».

نظر نظرة ميالة إلى النقد إلى وجهها الشاحب بسبب شدة الحرارة. سكب لها ولنفسه فنجاناً آخر من القهوة وقال بحزم: «سأشتري لك ثياباً مناسبة».

تفاجأت من رغبته في إمضاء بعض الوقت معها، في حين أنها كانت

تعاني طوال الأيام الأربعة الأخيرة من نفوره.

بدأت دقات قلبها تتسارع وأصبحت أنفاسها متقطعة، غطى الاحمرار وجهها. من الواضح أن الثياب التي دستها بلا اهتمام في حقيبتها لا تعجبه. ما الذي يفكر فيه؟ تنانير قصيرة، وجوارب شبكية، مع أحذية ذات كعوب عالية، وقمصان أنيقة مزينة بالترتر؟

أتراه سيعاملها كامرأة تافهة؟ قال إنه يريدها مرافقة مؤقتة له، فهل يود أن يفرض عليها أيضاً طرازاً معيناً من الثياب؟

بدت الفكرة سخيفة جداً، حتى إنها لم تعلم إن كان عليها أن تضحك أم تبكي، وبدلاً من ذلك أخذت تحدق به، وقد تورد خداها الشاحبان. أدركت ليزا أنها فتحت فمها من الاستغراب، لكنها لم تكن قادرة على القيام بأي شيء بخصوص ذلك.

أعاد دييغو فنجان قهوته إلى صحنه وهو يصدر صوتاً. وقف على قدميه، وهو ينظر بكره إلى عينيها المتسعتين، وفمها المندهش الذي ظهرت عليه ملامح السعادة. يا لها من وقحة!

إنها العاطفة الحقيقية الوحيدة التي ظهرت على وجهها منذ أن وصلت إلى هنا. كانت تبدو إما متوترة أوشاعرة بالملل خلال لقاءاتهما الحذرة. كل ما كان عليه أن يفعله هو أن يذكر أنه سيشتري لها بعض الثياب الجميلة حتى تشع وكأنها شجرة الميلاد. لكن ماذا كان يتوقع غير ذلك؟

سأل نفسه بإيجاز قبل أن يقول لها ببساطة: «سيجهز مانويل السيارة. سأراك في الردهة الأمامية للمنزل بعد عشر دقائق».

هل تكفي عشر دقائق لتعيد دقات قلبها المتسارعة إلى سابق عهدها، ولتهدىء من روعها بصورة كافية لمواجهة ما يبدو المرحلة الثانية من اللعبة؟

إنه بدون شك يمارس ألعاباً! قالت ذلك لنفسها بقلق وهي تبدل قميصها بقميص ضيقة أكثر أناقة، مصنوعة من القطن، ذات لون زهري داكن. مررت أحمر الشفاه بسرعة فوق شفتيها وهي تفكر. ما الذي يفسر

تركه لها بمفردها معظم الوقت، دون أن يذكر لها مرة واحدة سبب وجودها هنا؟ ولماذا يريد اليوم يريد أن يمضي الوقت برفقتها؟ اليوم لامس وجهها بأصابعه، ووضع يديه على كتفيها، كما لمست أصابعه بشرة خدها بينما كان يبعد شعرها عن وجهها. يبدو أن المرحلة الثانية من اللعبة قد بدأت...

لم يخفف ذلك من تسارع نبضها مطلقاً. لاحظت ذلك وهي تصفف شعرها وتعقده كذيل الفرس. اعترفت لنفسها أنها هي أيضاً تقوم بألاعيب. فهي تتصرف بعدم مبالاة، وبطريقة مملة. وهي حتى الآن تسير على هذا المنوال بطريقة جيدة، لكن لديها شعور غامض أنها لن تتمكن من الاستمرار هكذا لفترة أطول.

بينما كان يقود السيارة، أخبرها عن التاريخ العريق للدير السابق، شارحاً لها أن جدّه قد اشتراه منذ سنين عديدة، وأعاد بناءه مستعيناً بعمال مهرة، وحوّله إلى منزل رائع، من دون أن يبدل شيئاً الجو العام للمكان.

- لكن والديّ نادراً ما يأتيان إليه، فهما يجدانه منعزلاً جداً. لو لم أكن أحبه كثيراً، وآتي إلى هنا كلما استطعت ذلك، لأصبح مهجوراً.

بينما كان يتكلم تغيرت ملامح وجهه وأصبحت أكثر رقة، وعادت قسماته لتشع بالحياة. ابتلعت ليزا غصة بصعوبة، وأبعدت نظراتها عن الدفء المعلن في نظراته الجانبية التي كان يرمقها بها.

هذا هو دييغو الذي تتذكره... دييغو الذي وقعت في غرامه... المذهل والمليء بالحيوية. ذكرت نفسها بذلك الشعور الدائم بالشوق إليه.

راحت الطريق الضيقة تنحدر عبر منحنى محاط بالأشجار والنباتات الكثيفة. وبعد قليل، أصبح الهواء ألطف قليلاً، ما ساعد بطريقة ما على إيجاد عذر للرجفة التي أصابتها.

سألها بنعومة: «هل أنت خائفة؟».

وكأن عينيه أدركتا من خلال النظر إليها ما بها. لوى شفتيه برضى

كامل، وأعاد اهتمامه إلى الطريق المعبدة الملتوية.

أدركت ليزا ما يفكر به. لكن لا مجال مطلقاً للاعتراف أنها تأثرت على الإطلاق من تصرفاته الأكثر لطفاً ووداً. تمتمت بجفاء: «لا، على الإطلاق! أنت تقود السيارة بمهارة، فلم عليّ أن أخاف؟ أنا فقط أشعر بالبرد، هذا كل شيء».

ابتسامته الواضحة أعلمتها أنه لم يصدق كلمة مما قالته. فحتى تحت الأشجار كان الهواء الناعم ما زال دافئاً. ولا أحد يشعر بالبرد في مثل هذا الطقس!

تمتم بسخرية: «لكن بالطبع، أي شيء آخر قد يجعلك ترتجفين حتى أخمص قدميك الجميلتين؟».

حان الوقت لتسوية الأمور بينهما، ولوضع نهاية للعبة الهر والفأرة التي يقوم بها، خلافاً لكل ما يقوله المنطق والعقل فهي في سرها لا زالت مغرمة بذلك البائس، لكنها تكره طريقته في التلاعب بها.

ما إن اقتربا من ضواحي المنطقة ذات الثراء الفاحش حتى قالت له: «لم أكن أفكر بطريقة صحيحة عندما وضبت حقيبتي. نسيت الفرق الكبير في الطقس، حتى في هذا الوقت من السنة. وهذه غلطتي».

اعترفت بذلك بخسارة، وتمنت لو أنها لم تكن مولعة بالمشاكسة. فبسبب مزاجها الغاضب رمت ثياباً قديمة فقط في حقيبتها.

تابعت تقول: «كما أنني سأشتري بنفسي ثيابي، وشكراً لك بكل الأحوال».

بعض التنانير القطنية والقمصان، هذا كل ما تستطيع أن تشتريه. ماربيلا ليست المكان المناسب إذا كنت تريد الشراء بميزانية محدودة. فكرت بذلك بضيق، وهي تفكر برصيدها في المصرف، وبحقيقة أن لا عمل لديها لتعود إليه.

- لن أسمح بذلك مطلقاً!

قال دييغو ذلك بحزم ما إن وجد مكاناً ليركن فيه السيارة. استدار

نحوها، ومدَّ ذراعه عبر ظهر مقعدها. أصابعه الرشيقة وجدت الشريط الرفيع الذي يبعد شعرها عن وجهها، ونزعته. أصبح صوته الآن ناعماً كالحرير، مما جعلها ترتجف: «كي لا أبدو فظاً جداً، أخبرك أن لا مشكلة عندي مع المال، لاسيما أن والدك الكريم ليس معنا ليدفع لك الفواتير».

قالت ليزا بسرعة وغضب كبيرين: «لا تفعل ذلك».

وسرعان ما اصطبغ خداها باللون الأحمر. اختفى الشريط في جيب بنطلونه، وفكرت ليزا أن محاولة استعادته سينتج عنها صراع غير ملائم، وهي بالطبع ستخسره.

- إذا ذكرت أبي، وقلت إنه كريم مرة ثانية سأضربك.

التفت أصابع قاسية حول رسغها بينما كانت تحاول أن تخرج من السيارة. أعادها دييغو إلى الوراء لتنظر إلى وجهه. رفع حاجبه الأسود بقوة وتمتم: «اضربيني وسأنتقم!».

سقطت عيناه على فمها المرتجف وبقي ينظر إليها مطولاً وهو يتابع: «لكن ليس من خلال العنف الجسدي. فهناك طرق أخرى أكثر سروراً لإخضاع المرأة».

سيطر عليه إحساس بالرضى؛ لقد تركها بمفردها لمدة أربعة أيام وأربع ليال كاملة، ما جعلها تبدو متوترة كأنها على حد السيف. والآن، ها هي قشرتها الخارجية من عدم الاهتمام واللامبالاة تتحطم، وهو سيعمل على سحقها لتصبح غباراً.

ابتسامة خفيفة غلفت فمه ما إن أعادتها كلماته إلى مظهرها الجليدي ثانية. بدا ذلك واضحاً في العينين الكبيرتين، وبعد أن ضاقت شفتاها عن صمت معبر؛ إنها تحارب بكل ما لديها من قوة إرادة، لكن بعد وقت قصير سيجدها ضعيفة جداً. سوف تغدو متعلقة به، وهي تشتعل ناراً من أجله... ومن أجله فقط.

تخلص دييغو من هذه الأفكار، وببطء ترك رسغ ليزا. تجهم وجهه

عندما رأى آثار احمرار على بشرتها.

- سنأخذ شراباً بارداً قبل أن ننطلق إلى السوق.

وسيدفع فاتورة ثيابها التي ستضفي المزيد من الحسن والجمال على فتنتها الملائكية، على الرغم من رفضها غير المتوقع لذلك. لا شك أنه رفض ظاهري فقط.

انضم إليها على الرصيف. كانت تضع حقيبتها على ظهرها، وشريطا الحقيبة يتقاطعان فوق قميصها القطني الضيق الزهري اللون. أما قماش بنطلونها الجينز فينساب باتساق فوق وركيها وساقيها الرشيقتين.

أبعد نظره عنها. يا إلهي! إنها جذابة جداً! وقبل أن يعلم سيكون هو من سيركع على ركبتيه ويتوسلها، وذلك ليس هو مخططه.

تقضي خطته بأن يذلها، وليس العكس. سارا مسافة خمسين ياردة، ما أوصلهما إلى أقرب مقهى على الرصيف. جلسا إلى طاولة تظللها شجرة من الكرمة، تطل على منظر شامل الرؤية للبحر الأزرق اللماع. طلب دييغو مياه معدنية لليزا وعصير ليمون لنفسه ساحاً للأجواء أن تصفو بينهما قبل أن يحث نفسه على السؤال عن شيء بدأ يثير حيرته.

- أخبريني شيئاً، ليزا...

قال ذلك عندما لاحظ بوادر الراحة بدأت تظهر عليها من خلال عدم توتر كتفيها، تابع قائلاً: «لماذا تغضبين كثيراً عندما أضع كلمتي والدك وكريم في الجملة ذاتها؟».

قالت ليزا بهدوء: «لأنك لا تعرف عما تتكلم».

شعرت بالراحة بسبب الأجواء المحيطة بها، والتي أذابت كل انزعاجها. وضعت ابتسامة على وجهها لمجرد التفكير أن هناك من يستطيع تخيل جيرالد بنينغتون صاحب عواطف أبوية لابنته الصغيرة غير المميزة.

- إذاً، لمَ لا تدعيني أعرف الحقيقة؟

بإشارة من إصبعه عاد النادل إلى الطاولة وهو يحمل كوباً من العصير

لها. راقب دييغو نظرة الدهشة والفرح معاً تمر على وجهها الجميل، وانتظر حتى رشفت رشفة من الكوب قبل أن يتابع بلطف: «أحب أن أعرف ما الذي أتكلم عنه. فهذا يجعلني أكثر...».

توقف عن الكلام للحظة، قبل أن يضيف وهو يسخر من نفسه: «... جاذبية!».

رفعت نظرات عينيها الرائعتين لتلتقيا بعينيه، وضحكت بنعومة، تماماً كما أرادها أن تضحك. ساوره إحساس من الكره لنفسه ما إن تذكر أنها لم تأكل شيئاً أثناء الفطور. فهي بالكاد تذوقت حبة الدراق التي اختارتها قبل أن تبعدها عنها. لكم يحب أن يراها مرتاحة، لتتخلص من توترها ورغبتها بالمحافظة على عدم اهتمامها!

رفعت كتفيها النحيلتين بلا مبالاة، وقالت: «حسناً!».

تنهدت بغضب وأخبرته: «لم يكن أبي يظهر الاهتمام بي عندما كانت أمي حية، وأصبح اهتمامه أقل بعد وفاتها. عندما كنت أعود إلى المنزل من المدرسة الداخلية كنت أذهب إلى منزل شريكه، لهذا السبب أنا مقربة جداً من صوفي وبن».

عضت ليزا على شفتها السفلى بقوة. وقد ظهر الندم في عينيها. صححت لنفسها: كنا مقربون جداً، إلاّ أن هذا أيضاً لم يعد له وجود الآن!

رأى دييغو خيبة أملها المفاجئة. وشعر برغبة بأن يأخذ اليدين الصغيرتين النحيلتين اللتين وضعتهما على الطاولة، ويضمهما بين يديه، لكنه تنكر لهذا الإحساس بصعوبة قصوى...

- ربما كان حزيناً جداً بعد موت أمك المأساوي المبكر، وكان يريدك أن تكوني سعيدة وقادرة على مواصلة حياتك بطريقة أفضل.

اقترح ذلك محاولاً أن يكون منصفاً فلا يتخذ موقفاً متحيزاً، وراغباً في تفهم دوافع رجل لديه طفلة وحيدة، وهو يبعدها عنه باتجاه أشخاص آخرين. فهو قد نشأ في عائلة تهتم جداً بأفرادها، وتعتبر العائلة الأمر

الأكثر أهمية في الحياة كلها.

ظهرت معالم السخرية على وجه ليزا وقالت: «من الواضح أنك لا تعرف أبي».

إنها تبحث عن الشفقة والتعاطف؛ إنها فتاة مدللة فاسدة بكل ما في الكلمة من معنى!

قال دييغو بنعومة: «ربما لا. لكنني أعلم أنه يقدم لك هدايا ثمينة، ومن المحتمل أنه يفعل ذلك لأنه لا يجد ما يستطيع القيام به معك. كما أنه أعطاك مركزاً مرموقاً في «لايف ستايل». بالمناسبة، هل حصلت على إجازتك الجامعية؟».

انقشع الضباب المخادع عن عيني ليزا. فما اعتبرته اهتماماً لطيفاً منه لم يكن سوى ازدراء وقد ظهر ذلك في صوته العميق.

- الهدايا الوحيدة التي كان يقدمها لي هي كتاب بمناسبة عيد الميلاد، وساعة في عيد ميلادي الثامن عشر، حتى إنه لم يخترها بنفسه. أخبرتني هونور كليتون أنه طلب منها أن تشتري لي شيئاً ما. أما بالنسبة للشهادة الجامعية، فلم أحظَ بفرصة للذهاب إلى الجامعة. فما إن عدت من إسبانيا حتى أخبرني أن إمبراطورية التوزيع في «لايف ستايل» قد تقلصت إلى حجم جزيرة صغيرة. طلب مني - بالأحرى أمرني - أن أتخلى عن دراستي الجامعية وأنضم إلى فريق العمل، فأحاول أن تعلم الشروط والقواعد الخاصة بالعمل. «كل الأيدي تعمل على إنقاذ المجلة، وكل حسب إمكانيته». هذه هي الجملة التي أتذكرها.

- وكنت سعيدة بتلك التضحية؟

أراد دييغو أن يعرف الحقيقة... تجهم وجهه قليلاً وهو يشد حاجبيه السوداوين معاً.

قالت بعناد: «لا! لكنني شعرت بالإطراء لأنه، ولأول مرة في حياتي، قد لاحظ وجودي، وطلب مني شيئاً ما. بالطبع وافقت. أردت أن أسعده، أليس كذلك؟ أردته أن يجد لي قيمة خاصة لديه».

شعر دييغو بأنفاسه تنحبس في رئتيه حين غطى عينيها الجميلتين ضباب كثيب من الدموع. ضاقت عيناه وهو يراها ترمش بعينيها بقوة لتتخلص منها. تنفست بصوت منخفض، وأظهرت ابتسامة تدل على أنها قالت الكثير مما في داخلها، وأفصحت عن الكثير.

- هل نذهب؟

ما إن حاولت النهوض حتى أمسك دييغو بيديها بين يديه.

- في غضون لحظات.

بدت يداها صغيرتين جداً بين يديه. نعومة هاتين اليدين ورقة عظامهما أشعلتا مشاعره وألهبتا العاطفة التي يكنها لها منذ خمس سنوات، وجعلته مدركاً لجمالها الفاتن الهش الرقيق. ما إن ضاقت عيناه وهو ينظر إلى ملامحها الفاتنة، حتى ارتجف فمها قليلاً، فشعر بأن كل شيء يحدث من جديد مرة ثانية؛ ساورته الرغبة في أن يدللها ويحبها حتى العبادة.

إذا كانت تقول الحقيقة في ما يتعلق بعلاقتها بوالدها - وهو متأكد تماماً أنها كذلك - فهو إذاً يسيء الظن بها ويقسو في حكمه عليها. هذا ما اعترف به لنفسه بقوة.

أتراه أساء الحكم عليها بأمور أخرى؟ هل عليه أن يصغي إلى ما كانت تريد قوله عن تلك الليلة المخيفة، وبدون انتقادات وافتراضات؟ لا . . ! إن ما ستقوله هو مجرد سلسلة من الأقاويل الكاذبة . . .

إذا اقتنع بما يقوله له ضميره بكل وضوح، أي أنه كان مخطئاً بعدم إعطائها أي خيار إلا أن تفسخ خطوبتها، وأن تأتي إلى إسبانيا معه، عندها ربما يمكنهما البدء من جديد. فالانجذاب بينهما ما زال موجوداً، وهو يثير جنونه منذ اللحظة التي التقى بها ثانية. كما أنهما الآن أكبر وأكثر حكمة.

شعر أن اليدين الصغيرتين الجامدتين عادتا إلى الحياة، التفت أصابعها النحيلة حول أصابعه، وكان تأثير ذلك عليه كتأثير تيار كهربائي. قال:

«وهل فعل ذلك؟ هل أصبح لك قيمة خاصة لديه؟».

لم تستطع ليزا الإجابة. ببساطة، حدقت بوجهه الغامض الفاتن. إمساك يدي دييغو القويتين الدافئتين ليديها حبس أنفاسها، وجعلها ترتجف من تدفق الذكريات. تذكرت كيف كانت الأمور بينهما في الأيام الماضية، عندما كانت تؤمن حقاً أنه يحبها بجنون كما تحبه أرادت أن تعود إلى ذلك الزمن الساحر الجميل، وبشوق كبير دفع أي شيء آخر من تفكيرها.

سحبت يديها من يديه، وشعرت بالألم من فقدان الإحساس بالأمان. حاولت أن تركز على ما كان يسألها عنه.

قالت أخيراً، وقد ظهر الحزن في عينيها: «لم يعطِ أية إشارة تدل على ذلك».

انحنى دييغو فوق الطاولة، وشعرت ليزا كأنها ستتجمد في مكانها من لمعان عينيه. سألها بفظاظة: «أي نوع من الرجال هو؟».

أجابت بصدق: «أنا حقاً لا أعرف، فهو لم يسمح لي مرة أن أكون قريبة منه كي أعرف».

- ومع ذلك وافقت على طلباتي. فسخت خطوبتك، وأظن أنك سببت الألم للرجل الذي تحبين، وذلك كله بهدف إنقاذ العمل والمستقبل المالي للمؤسسة. مع أن والدك حسبما تقولين، يظهر القليل القليل من الاهتمام الأبوي بك.

بدا واضحاً من كلامه أنه لا يجد مبرراً يفسر حاجتها الدائمة لتحصل على رضى والدها، لاسيما إذا كان ذلك على حساب رجل آخر هو خطيبها.

هزت ليزا رأسها الذي أصيب فجأة بالألم، وتمنت لو لم تبدأ هذا النقاش كله.

- لم يكن الأمر كذلك! أنت تجعلني أبدو قاسية القلب. أنا وبن لم نكن أبداً مغرمين ببعضنا.

وبدون وعي منها نظرت إلى إصبعها الذي نزعت منه خاتم الخطوبة، وتابعت: «لطالما أحببنا بعضنا كأخوين، وأعتقد أننا انجرفنا في فكرة الزواج».

رفعت كتفيها وظهرت ابتسامة صغيرة على وجهها، قبل أن تتابع: «في الواقع، بن أقنعني أن إفلاس «لايف ستايل» لن يكون نهاية العالم لوالدينا أو حتى لفريق العمل. وأنه يمكنني ببساطة أن أطلب منك أن ترمي عرضك في سلة المهملات، دون أن أشعر بأي عذاب ضمير».

لكنها لم تفعل، أليس كذلك؟ موجة من الدفء انتشرت عبر جسم دييغو كله وهو يقف ويقدم يده لها؛ هذا يعني أنها أتت إلى هنا لأنها تريد ذلك... وهذا يعني في المقابل أنها لا تزال تشعر بشيء ما نحوه. يا إله السماوات! لو كان بإمكانه أن ينسى الماضي، وأن يمحو تلك السنوات المريرة، عندها...

- كنت قد قررت أن أتصل بك...

قالت ذلك ما إن وصلا إلى الرصيف تحت أشعة الشمس القوية وهما يسيران ببطء، وتابعت: «... لأخبرك أنني بدلت رأيي، وأن اتفاقنا ملغى. عندها أخبرني والدي أنه التقى بك في اجتماع، وأنا لا أعلم ما الذي قلته له، لكنه بدا مقتنعاً أن سبب إنقاذك للمجلة له علاقة بمعرفتنا السابقة لبعضنا».

التوى فمها بابتسامة صغيرة، مدركة أنها تتكلم كثيراً. أكملت تقول: «قال لي إنني أخيراً قمت بالتعويض عن كوني لست الصبي الذي أراده دائماً. يمكنك أن تقول إنني حمقاء، فأنا في الواقع أستحق ذلك. لكنني لم أستطع أن أخبره أن كل شيء قد ألغي، وأجعله يتحول من عدم المبالاة بشأني إلى كرهي فعلياً. هل أستطيع؟».

فجأة، أظلمت الدنيا في عيني دييغو. أصبح دمه بارداً، ثم عاد فاشتعل كالنار. يا له من أحمق! ألا يملك من المنطق أكثر مما كان عليه منذ خمس سنين؟ بالطبع، هي لم توافق على القدوم إلى هنا لأنها لا تزال

تريده، أو لأنها لا تزال تحمل عاطفة من أي نوع كان له.

إنها راضية ببيع نفسها له لفترة من الوقت لتحصل على رضى والدها. تحولت غيرته من الرجل الآخر، من والدها، إلى غضب صارخ. صرّ على أسنانه بقوة، فالمرارة عادت إليه كالطوفان.

www.rewity.com
marmoria5555

٧ - حب أم انتقام

أدركت ليزا أن كل شيء قد تغير، وأن أي تحرك من قبلها، مهما كان بسيطاً، سيؤدي إلى ظهور مواقف جديدة. توقفت عند أعلى الدرج الحجري العريض، وهي ترتدي الفستان الأزرق الضيق المصنوع من الشيفون، والذي اختاره دييغو لها.

ألقت اللوم على تلك اللحظة المحددة، عندما شرحت لدييغو بالتحديد لماذا وافقت على عملية الابتزاز. فعندما كانا في ماربيلا هذا الصباح، شعرت بالكلمات تنزلق على لسانها على الرغم من إرادتها.

التغيير الذي طرأ على دييغو بدا دقيقاً جداً، بالكاد يمكن لسواها أن يلاحظه أو يعلّق عليه. أما بالنسبة لها، فقد أصابها ذلك التغيير في الصميم، وكأن طناً من الحجارة سقط فوق رأسها. لا يمكنها أن تصف طريقة سيره على الرصيف بقربها بأقل من الاستبدادية المطلقة. بدا كأنه يملك البلدة وكل شخص، بل كل شيء فيها. كان يرفع رأسه عالياً، وقد علت وجهه الوسيم ملامح ترشح بالازدراء.

قادها عبر الأبواب الزجاجية لمتجر للأزياء العالمية. المجموعة الغالية التي رأتها ليزا جعلتها تشعر على الفور بالرعب والرهبة، إذ شعرت أنها لا تنتمي إلى هذا المكان ببنطلونها الجينز وقميصها القطنية ذات اللون الزهري المشرق.

قام بخدمتها موظف طويل القامة، نحيل الجسم، في الثلاثين من عمره، على وجهه ابتسامة دائمة عديمة الحيوية. استلقى دييغو إلى الوراء على كرسي مغطى بقماش من الحرير، وأخذت الفساتين ذات النوعية أو الطراز المميز تعرض أمامه من أجل الحصول على إيماءة من موافقته

المتعالية.

بعد مرور ساعتين حمل شاب نشيط، يرتدي بذلة رمادية عادية، تحيط به هالة خاصة من الأهمية، بيديه الاثنتين علباً وحقائب أنيقة إلى سيارة دييغو. كادت ليزا تصاب بالهستيريا لكنها فكرت: ليبدد أمواله إذا كان يرغب بذلك!

بعد أن تناولا غداءً متأخراً لم يتحدثا خلاله إلا القليل، كما لم يأكلا إلا بعض الطعام، بدآ بالرحلة الطويلة نحو الدير القديم. تملكها بقوة إحساس غريب ينذر بالشر، وذلك بسبب السلطة الجديدة الباردة التي رأتها في دييغو. أحست أنه يراها مجرد دمية متحركة اشتراها ودفع ثمنها، ثم صممها لتقوم بكل ما يريده عندما يشد خيوطها. لم يكن بإمكانها أن تندم لأنها كشفت له عما حدث معها، ليس فقط بشأن علاقتها مع أبيها وبن، بل في ما يتعلق أيضاً بسبب موافقتها على ما طلبه منها منذ البداية.

وهي تبدأ بالسير وحيدة نحو غرفة الطعام الرئيسية، فكرت أن هذا هو الوقت المثالي ليكاشفها دييغو ويفصح عن نواياه بشأنها. فمنذ أن التقيا ثانية، وكلاهما يتجنب الافصاح عن أفكاره الحقيقية تجاه الآخر. مهما كان نوع هذه الأفكار، من الأفضل كثيراً لو أنهما يستطيعان التحدث عنها.

حمل مانويل جبلاً من الحقائب إلى جناحها بعد عودتهما، وكسر دييغو الصمت بينهما ليقول: «ارتدي ثوباً جميلاً الليلة. لأننا سنتناول العشاء في قاعة الطعام الرسمية، وأحب أن أرى ما أمتلكه مسرّاً للنظر».

ما يمتلكه!؟

لو سمعته يقول ذلك في وقت باكر من هذا اليوم لارتجفت؛ أما الآن فهي تستطيع أن تتقبل ذلك. لقد فعلت ما طلبه منها؛ اختارت هذا الثوب من عشرات الفساتين التي قامت روزا زوجة مانويل الجميلة، بإخراجها من الحقائب الورقية وتعليقها في خزائن جدارية يستطيع المرء أن يسير في داخلها.

انتعلت حذاء ذا كعبين مرتفعين مغطى بقماش من الحرير الأزرق اللون، يناسب تماماً ما ترتديه. وصففت شعرها تاركة إياه ينسدل حول كتفيها كشلال من الحرير الأشقر، بعد أن ضمته إلى جانب واحد من وجهها بحلية صغيرة مثبتة بمشبك، وبالغت حتى النهاية بوضع مساحيق الزينة على وجهها.

لا يستطيع أن يتهمها بأنها تبدو قبيحة، مع أنها ما إن تنتهي منه من المحتمل أن يتهمها بأنها سببت له ألماً لا ينسى.

في السابق، كانا يتناولان طعامهما في باحة داخلية أو في غرفة الفطور الصغيرة التي تطل على المدخل الأمامي للمنزل وعلى المناظر الرائعة للجبال. إذا كان قد اختار الفخامة التي تحيط بقاعة الطعام الكبيرة ليؤثر عليها فهو لن ينجح بذلك. هذا ما أقسمت عليه وهي تفتح الأبواب الثقيلة المنحوتة للقاعة.

بدت غرفة الطعام مثيرة للدهشة بكل ما في الكلمة من معنى. السقف العالي بقناطره المحفورة مضاء بواسطة ثريات معدنية ضخمة، أمّا الجدران المغطاة بلوحات من الجص فقد حُفرت فيها نوافذ ضيقة ذات تعلوها أقواس. أما الطاولة الضخمة التي تلمع كالزجاج فقد وضع حولها مقعدان فقط، واحد في كل جانب.

سارت إلى الأمام وكعبا حذائها يطرقان بخطوات واثقة على الأرض الواسعة اللماعة. نهض دييغو عن كرسيه المزين بصور محفورة عند رأس الطاولة، وكان يحمل بيده شراباً ما.

حبس أنفاسها بوسامته وأناقته. بدا رائعاً بثيابه الرسمية، الخالية من أي عيب، إلا أنه بدا أيضاً بارداً جداً كالفقر نفسه...

خلال اقترابه المدروس منها كانت عيناه المحجوبتان بأهدابه الطويلة ترمقانها بنظرات تقييمية، بدءً من شعرها الحريري، إلى كتفيها النحيلتين حيث الشريطين الرفيعين للفستان نزولاً إلى خصرها وساقيها النحيلتين اللتين بدتا أطول تحت الثوب الأنيق الذي يصل إلى ركبتيها، وصولاً إلى

حذائها الجميل.

كان من الصعب عليها ألا ترتبك تحت تلك النظرات المدققة التي لا تحمل أية تعابير. لكن ليزا تمكنت من تحمل ذلك، وكادت أن تظهر ارتياحها عندما أحنى رأسه ليظهر موافقته. استدار دييغو ليسير نحو طاولة من خشب السنديان وضعت بجانب المدفأة، حيث النيران المشتعلة تضفي جمالاً ودفئاً على المكان، مبددة برودة المساء من هذه الغرفة الحجرية الكبيرة.

شعرت بتوتر كبير عندما عاد إليها وهو يحمل علبة مغطاة بالجلد، ويقول لها: «لم أكن أعرف أي لون ستختارين لهذه الليلة، لذلك قررت أن الماس سيكون الاختيار الأنسب».

لمعت أحجار الماس كالنيران فوق قطعة المخمل الأزرق الباهت اللون. اتسعت عينا ليزا برعب ما إن رفع عقداً من حبوب الماس الرائعة المرتبة على شريط من الذهب الأبيض، وسار خلفها ليثبت العقد حول عنقها.

تصميمها على أن تبقى ثابتة، هادئة ومنطقية طار من رأسها، فعمدت إلى الابتعاد عنه وقالت بسرعة: «لا أريدها!».

- إنها ليست لك، صدقيني! أريدك أن تضعيها لهذه الأمسية فقط، لتكتمل الصورة وتجعلني أشعر بالسعادة عندما أنظر إلى مقتنياتي المادية.

تألمت ألماً شديداً بسبب الإهانة المتعمدة. وقفت ليزا كالحجر بينما كان يبعد شعرها جانباً ليثبت العقد حول عنقها. لمسة يديه جعلتها ترتجف بشدة. سيطر عليها إحساس غريب كوخز الإبر طوال ذلك الوقت.

في المرحلة الثانية، أتى دور السوار. صفان من الأحجار الجميلة رتبت بشكل نادر، وهي تناسب العقد تماماً. قال دييغو ببساطة: «تجد أمي جواهر العائلة قديمة الطراز جداً، وتبقيها في خزنة فولاذية هنا. أحياناً تقوم بتنظيفها ورؤيتها عندما تزور المكان هي وأبي، قائلة إنها تجد بذلك شيئاً تفعله».

www.rewity.com

ماس مرصع على شكل دمعة كقرطين لتكتمل اللوحة. . . لامست أصابعه بشرتها الحارة بينما كان يضعهما في أذنيها، وما لبث أن تراجع إلى الوراء لينظر إليها. مع أن ليزا شعرت كأنها تشتعل من جراء تلك اللمسة الخفيفة، لكنها استجمعت قوتها وسألته في تعالٍ وإشراق مصطنعين: «متى يزور أهلك المكان؟ وهل سألتقي بهما؟».

افترضت أن سؤالها هذا سيشعره بالإهانة وهو في ذلك المزاج المتعالي.

- هذا أمر صعب جداً. هناك نساء يسعد الرجل بتعريفهنّ على والديه، ومن الواضح أنك لست منهن.

أجابها بحدة واضحة في صوته، وعلمت أنها كانت على حق في افتراضها، لكنها لم تهتم لذلك. بعد أن تقول له ما تنوي أن تقوله الليلة، لن يكون قادراً على إيذائها.

على الأقل هذا ما قالته لنفسها بينما وصلت روزا ومانويل لتقديم العشاء. إلا أنها لم تعد متأكدة من ذلك عندما أبعد دييغو الكرسي لها، وتمتم بنعومة في أذنيها: «سيكون لدي شيء جميل أنظر إليه ونحن نأكل. فالنظر إليك يسعدني».

يمكنه أن يسبب لها الأذى، لأنه هو نفسه الرجل الذي أحبته وكرهته معاً. هل تريد أن تعطيه تلك السعادة؟ سعادة رجل بارد موضوعي حصل على تحفة غالية. أيحسبها كالماس، ممتلكات يتباهى بها في مناسبات معينة ثم يقفل عليها في خزانة حديدية وينساها؟ بالطبع لا!

عملت روزا ومانويل على خدمتهما بتقديم المحار والشراب الشهي، وأحضرا طيور السلوى مع صلصة الأعشاب وسلطة الخضار المشوية، وأخيراً تركاهما مع القهوة وصحون صغيرة مليئة بالكريما والحلوى الشهية وصحون من الفاكهة الطازجة.

قالت ليزا بخفة متعمدة: «كان عليك أن تزودهما بمزلجة ذات عجلات كي يتمكنا من الوصول من طرف هذه الطاولة إلى الطرف الآخر بصورة أسرع».

حاولت أن تتجاهل تأثير نظراته عليها طوال فترة تناولهما الوجبة. أرادته أن يعلم أن كل تلك الفخامة الرسمية، وكومة الماس على رقبتها ومعصمها وأذنيها، لم تؤثر بها مطلقاً.

لم تظهر أية ردة فعل على دييغو. اتكأ على ظهر الكرسي المحفور، وقد وضع يديه بخفة على ذراعي الكرسي. كانت عيناه لا تزالان عليها، وهو يفكر ملياً.

قالت ليزا بحزم: «سأغادر عند الصباح. حتى لو اضطررت إلى الذهاب سيراً على قدمي. يمكنك أن تفعل ما تشاء بشأن الأموال التي وضعتها لإنقاذ المجلة، فهذه المسرحية المزعجة بدأت تثير مللي. وقد قررت أنني أستطيع التعامل مع انزعاج أبي، لو سحبت كل أموالك من هذا الرهان. ففي النهاية، لقد تحملت ذلك، أو ما يشبهه كثيراً، طوال سنين عمري».

لم تكن تقصد ما قالته. . . أي شيء مما قالته، قالت ذلك فقط لتثير ارتباكه ولتخرجه من وضعه الاستبدادي وبرودته المحتملة. إنها لا تريد الرحيل قبل أن يتحدثا عن الأخطاء التي مرا بها منذ خمس سنوات. لا يعلم دييغو أنها رأته مع تلك المرأة الجميلة، وشاهدت بألم كبير كيف كان يتصرف بقربها. كما أنه لا يعرف سبب تصرفها السيء الذي تلا تلك الحادثة، والذي سببته آلام قلبها الذي تمزق وتشتت من الغيرة.

حان الوقت لإظهار الحقيقة، كل الحقيقة. لقد منعها من التحدث في لندن بقوله إنه ليس مستعداً لسماع المزيد من الأكاذيب. وبطريقة ما، عليها أن تجبره على أن يسمع وجهة نظرها من القصة.

مفاجأة غير مرحب بها طرأت على ذهنها، قد يشعر دييغو أنه ملّ من هذه التمثيلية مثلها، وسيوافق على الفور على رحيلها. جعلتها هذه الفكرة ترتجف من البرد للحظة، لكن الابتسامة الكئيبة التي رماها بها جعلتها تشعر بالتجمد حتى أعماق أعماقها. سمعته يقول بنعومة: «إذا ذهبت، سألحق بك. وإن اختبأت سأبحث عنك».

على الرغم من النعومة التي ظهرت في صوته بدا المكر واضحاً فيه. لكنها لن تسمح له بالسيطرة عليها. قالت بانفعال: «إني متأكدة من وجود قانون يمنع ذلك النوع من المضايقة والإزعاج. وليس هناك من قانون ينص على أنه عليّ البقاء هنا».

أخذت رشفة من فنجان قهوتها لتقوي الصورة المخادعة التي كانت ترغب في إظهارها بقوة.

- مهما يكن، سأبقى إذا وافقت على إجابتي عن سؤال أو اثنين فقط. لكن ليس هنا، فالمكان رسمي جداً. سأذهب إلى الحديقة ويمكنك أن تتبعني إذا كنت موافقاً على ما قلته.

لم تعرف مطلقاً كيف تمكنت من الخروج من الغرفة بدون أن تسقط على الأرض. ولم تعرف أيضاً إن كان سيتبعها. لكنه فعل...

أتى دييغو بعد مرور عدة دقائق أمضتها ليزا في قلق كبير. خلع سترته الرائعة الداكنة اللون، ورفع أكمام قميصه البيضاء حتى مرفقيه، وحلّ ربطة عنقه. بهرها بجماله الرائع مع كل خطوة يخطوها بتكبر وعدم مبالاة، في ضوء القمر الشاحب.

تمكنت من السيطرة على الرجفة التي اعترتها من الإثارة لمجرد التفكير أنهما أخيراً قد يصلا إلى مكان ما بعد التخلص من أعباء الماضي ووضعه وراءهما.

سار دييغو فوق الأرض الحجرية باتجاه الطاولة المظللة بأغصان كثيفة لشجرة تين قديمة. قال بصوت أجش: «لنوضح هذا الأمر جيداً، يمكنك أن تسألي أي سؤال تريدينه، لكن قد أختار ألاّ أجيب عليه. وأنت ستبقين هنا حتى أقرر أنا متى يمكنك الذهاب».

وتابع: «اجلسي في مكان أستطيع رؤيتك فيه».

أشار نحو مقعد يواجه الحائط المغطى بأشجار الكرمة، وبطريقة عجائبية غرقت المساحة بأضواء خافتة مميزة.

فكرت ليزا بحيرة: لا بد أنه ضغط على مفتاح كهربائي، لأن الأنوار

المنتشرة والموزعة عبر أماكن مرتفعة ومنخفضة كانت تشع من خلال أحواض من النباتات الخصبة. من الواضح أنه لم يكن في مزاج يسمح له بالتحدث من القلب إلى القلب، ولا رغبة لديه في مناقشة الأمور الجدية.

ما زال دييغو رافاكاني يوتر أعصابها. فكرت بذلك وهي تكاد تشعر بانهيار، ما إن جلست حيث قال لها أن تفعل.

صممت أن تفعل شيئاً ما بشأن هذه المسألة المذلة. جلست مستقيمة جداً وقالت: «أنت تعاملني كأنني مجرمة، وتلقي اللوم بالكامل عليّ ما حدث منذ خمس سنوات. لكن لم لا تفكر أنك كذبت عليّ منذ أول لقاء لنا؟».

إنه الرجل الوحيد الذي أحبته في حياتها. فبعده ما من رجل يستطيع أن يأمل بامتلاك قلبها الأحمق في راحة يده، وهي ما زالت تريده مهما كان سيئاً. قالت ذلك لنفسها بحزن.

أرادت أن تستعيد دييغو السابق ثانية، تماماً كما كان في تلك الأيام الرائعة حيث كانا مغرمين ببعضهما البعض. لم يكن مخلصاً كما كانت تعتقده، والآن ها هي تراه بصفاته الحقيقية. مع ذلك ما زالت تريده. يا لغبائها!

جلس على المقعد قبالتها، وفكرت أن ذلك أفضل من وقوفه بقامة بطول ست أقدام تلوح فوقها، مليئة بالوسامة والقوة. فذلك يفوق قدرتها على الاحتمال. مع أن جلستهما لم تشعرها بالارتياح، لأنها تجلس تحت الأضواء وهو يجلس في الظل.

كان من المستحيل عليها أن تقرأ تعابير وجهه، وعليها بذل جهد كبير لتعرف ما الذي يفكر فيه. بدا صوته مرحاً قليلاً عندما ردّ عليها قائلاً: «بالنسبة لكونك مجرمة فأنت تستحقين خمس نجوم على ذلك، لكنك لم تحصلي بعد على عقابك. وأنا حقاً ما كنت لأتذمر لو كنت مكانك».

أصبح صوته أقسى وهو يتابع: «كما أنني لم أكذب عليك أبداً. لذلك لا تهينيني بالقول إنني فعلت».

ثم تابع: «لكن هذا ما تفعله النساء عادة، أليس كذلك؟ عندما يتم حجزهن يبدأن بإلقاء الاتهامات السخيفة بسهولة».

أجابت ليزا بهدوء: «لا شك أنك تعرفت على نساء سيئات جداً».

إذا سمحت لصوتها أن يرتفع ولو لأقل من درجة، ستفقد السيطرة على نفسها، وستبدأ بالتحدث بصخب، وستهاجمه بعنف. لذا تابعت تقول بهدوء: «إذاً يمكنك أن تستعيد ملاحظتك تلك، وتشرح لي لماذا قلت لي إنك مجرد نادل متواضع بينما أنت طوال الوقت مفعم بالثراء؟».

كان دييغو متكئاً على كرسيه بارتياح، قال: «أنت من قرر أنني نادل متواضع. أنا قلت لك كل الحقيقة. أخبرتك أنني أمضي معظم الليالي وأنا أعمل في أحد مطاعم الفندق. هل ترين يا ملاكي المزيف، كيف أتذكر كل كلمة قلناها لبعضنا البعض؟ الفندق الذي كنا سنلتقي فيه في الليلة الأخيرة كان الفندق الأخير من سلسلة فنادق العائلة. وأبي، كونه رجلاً منطقياً، أصر على أن يكون لي تجربة فعلية في كل فرع من المؤسسات التجارية المتنوعة التي نملكها. كنت أعمل مديراً لمطعم في ذلك الوقت».

امتلأت عينا ليزا بالدموع الحارة. لم تستطع منع حدوث ذلك، فقلبها المجنون تحول إلى هلام. من الواضح أنه لم يقصد أن يكون قاسياً جداً، ولم يدرك ما الذي صرح عنه بدون انتباه منه؛ إنه هو أيضاً يتذكر كل كلمة قالاها لبعضهما. وهذا لن يحدث إذا كان يعتقد أنها مجرد مغامرة عابرة، فتاة تسليه وترضي غروره، أليس كذلك؟

لا بد أنها عنت شيئاً ما له...

سألته بصوت مرتجف: «لماذا لم تخبرني من تكون؟ لقد أخبرتك كل شيء عن نفسي. ما أقصده هو، أنني أجبت عن كل سؤال سألتني إياه بصدق كامل. لماذا تركتني أعتقد أنك تحصل على معيشتك من خلال الخدمة على الطاولات؟».

لقد صدقت كذبة، وهو تركها تفعل. لا بد أنه كان يضحك من فكرتها الخاطئة، معتقداً أنها حمقاء فعلاً. هذا ما آلمها حقاً... كانت

صريحة وصادقة معه بينما هو...

- لماذا كنت ماكراً جداً معي؟

- لماذا برأيك؟

تابع دييغو بحزم: «أنا أفضل كلمة مدرك ومنطقي على ماكر».

رمشت الدموع من عينيها، ونظرت إليه وقد ضاقت عيناها عبر رموشها الرطبة.

ما الذي يريده منها هذه الليلة؟ حتى الآن لم يظهر أية إشارة عن استعماله لأية وسيلة ماكرة أو خبيثة معها.

وجدت ليزا من الصعب عليها أن تركز على أي شيء آخر، فأجبرت نفسها على الإصغاء بانتباه له عندما قال لها بتوتر: «منذ أن أصبحت في السابعة عشرة من عمري وأنا ملاحق من قبل الفتيات اللواتي يحلمن بالحصول على الفرصة الذهبية».

ساد صمت قصير بينهما، مليء بالسخرية والانتقاد. بعد ذلك تابع بنعومة، كأنه يتحدث مع نفسه: «أحببت فكرة أنك اعتقدتني مجرد شاب عادي».

هل كان هناك ابتسامة في صوته؟ لم تكن ليزا متأكدة، لكنها تمنت ذلك. أميراً كان أم فقيراً، لا أحد يستطيع أن يصف دييغو بالشاب العادي.

بعد ذلك أفسد كل شيء بقوله متشدقاً: «كنت صغيرة جداً، بالسنين وبالخبرة. وفكرت أن الفتاة بحاجة إلى وقت قصير لتتعلم كيف يمكنها أن تصبح أكثر تميزاً باستخدامها جمالها وفتنتها. أتكلم طبعاً من الناحية الاقتصادية».

كانت لا تزال تحلم بإعجابه بها لأنها اعتقدت أنه لا يملك أي مال. احتاجت ليزا لعدة لحظات لتفهم ما قصده وما الذي كان يرميها به ببساطة.

إنه يتهمها ببساطة أنها باحثة عن الذهب.

من الواضح أنه لم يصدق أية كلمة مما قالته عن الأسباب التي دفعتها أخيراً للموافقة على عرضه المشين. لقد اعتقد أنها قفزت للحصول عليه متمنية الحصول على الكثير منه. كالاستلقاء تحت أشعة الشمس، والخدمة الدائمة والرفاهية: طعام شهي، ثياب جديدة وجميلة، وجواهر مستعارة...

بإمكانها التخلص من مجوهراته الكريهة. قالت ذلك لنفسها في غضب، لأنها تكرهه لاعتقاده أنها فتاة وضيعة. ولأنه يجعلها تحمل له الحب مع أنه يحتقرها إلى درجة كبيرة.

اشتعل وجهها بالغضب القاتل، قفزت على قدميها وسحبت من رسغها السوار الرائع، و أتبعته بالقرطين في أذنيها، رمتها بدون اهتمام على الطاولة. كانت ترغب في رمي العقد من عنقها على الشرفة كلها، لتختفي بين النباتات المزهرة، لكنها علمت أنه سيقف قربه حاملاً عصا بينما هي ستعمل بيديها وعلى ركبتيها حتى تجده، ولو استغرقت للقيام بذلك عشر سنوات!

العقد كان مسألة مختلفة... بإحباط وبدموع غاضبة تنهمر من رموشها على خديها حاولت بقوة أن تزيل المشبك. راحت تضغط بشفتيها بقوة، وكأنها بطريقة ما ستتمكن من حل المسألة.

نهض دييغو بتكاسل على قدميه، وسار ليقف قربها، ثم قال: «اسمحي لي».

توترت ليزا ما إن شعرت بأصابعه الرشيقة وهي تزيل العقد. أصيبت كل أطراف أعصابها بتوتر غير محتمل. عندما يكون بهذا القرب منها تشعر بدفء جسمه في كل نفس تأخذه وفي كل دقة قلب سريعة. رجفة ضعيفة سيطرت عليها فحاولت حبس تنهيدة كادت تفلت منها. ما إن أنهى عمله ورمى بالعقد على الطاولة، أمسك كتفيها بيديه وأدارها لمواجهته. تحولت نظرة عينيه من تكبر وغطرسة إلى تجهم خفيف.

- لم أقصد أن أجعلك تبكين.

رأت ليزا صدره العريض يتمدد فحبست أنفاسها. عضت بقوة على شفتها السفلى بينما كان يمسح الدموع عن وجهها بأصابعه.

أصابع لطيفة، لطيفة جداً. شعرت أن دموعاً جديدة تتشكل وراء عينيها...

كانت غاضبة منه، غاضبة جداً، لأنه رماها بلقب الجشعة والباحثة عن الذهب، أليس كذلك؟ إذاً، لماذا تريد أن تدفن رأسها في صدره العريض وتبكي حتى تشفى من كل آلامها؟

تمتم دييغو بقوة: «من فضلك، لا تبكي!».

مرر إصبعه فوق شفتيها المضغوطتين بقوة. تأوه عندما رأى عينيها ترتفعان لتصرحا عن الموافقة على الطلب الذي كان يرسله من عينيه الغامضتين... وعانقها...

لم تعرف ليزا كيف بدأ ذلك العناق وفي أية لحظة، ولم تهتم لذلك. فهذا ما تريده وما تتمناه. التخلص من توتر الأيام الماضية أتى سريعاً. شعرت بإحساس من الأمان وكأنها عادت إلى ديارها، إلى حيث تنتمي بعد سنوات عقيمة من النفي والهجران.

رفع دييغو رأسه، وأبعدها عنه لينظر إلى جمالها. بدت مشرقة كأنها لؤلؤة كبيرة تحت ضوء القمر، عيناها مليئتان بالشوق له... له فقط.

عليه أن يصدق ذلك...

www.rewity.com
marmoria5555

٨ - ... وعادت النيران

عكس ضوء القمر الصافي جمال ليزا الرائع وانسياب شعرها الذهبي، وتلك الخصل الحريرية التي تحيط بوجهها.

راح قلبه يدق بسرعة، فلقد انتظرها طويلاً، طويلاً جداً.

لم يبعد نظره عن عينيها. فضوء القمر يجعل منها لغزاً مبهماً، وهو سيحل هذا اللغز.

شهقة صغيرة منها نبهته إلى أن عينيها تنظران إليه كأنها مسحورة به. وبدون أن يفكر بالأمر، أمسك بيديها ولمس بشفتيه ظاهر أصابعها، ثم أدارهما ليطبع قبلاً طويلة على راحتي كفيها. تماماً كما كان يفعل منذ وقت بعيد عندما كان يافعاً وغالياً جداً، بل هو أغلى ما لديها في هذه الدنيا.

- دييغو!

سماع اسمه خارجاً من بين شفتيها هو كل ما كان ينتظره. شعر كأن قلبه قد أصبح أكبر بمرتين من حجمه الطبيعي داخل صدره. جعله ذلك متقطع الأنفاس، وهو ينظر إلى عينيها. يا إلهي! هل تعلم ما الذي تقوله عيناها له؟ انحنى ليلمس برؤوس أصابعه شفتيها، فسمع تنفسها الناعم وشعر بارتجاف في شفتيها.

تنهد دييغو بقوة. هذا ما كان يريده، أليس كذلك؟ أن يجد ليزا بقربه تسعده، وتخلصه من ذكرى تلك السنوات المليئة بالغضب والمرارة.

ومع ذلك، فهو يريد أكثر من ذلك. يريد ما هو أهم من لقاء حسي. لم يعلم من أين قفزت هذه الحاجة المفاجئة، لكن القوة التي أتت بها راحت تضرب بقوة وإصرار في دماغه.

شعر بقوة حبها له، وهذا ما سبب التغيير في عاطفته الدفينة. فكر أن

الذهاب في طريق الانتقام يحط من قدرهما معاً. علم أنه سيكون خاسراً في مطلق الأحوال إذا سمح لرغباته الحسية بالسيطرة عليه، فلن تكون لديه فرصة لتحرير نفسه. ابتعد دييغو عنها وضاقت عيناه بوقار وهو ينظر إلى وجهها الغالي.

قال لها بصوت أبح، لأنه يعلم ما الذي سيتبع ذلك: «لقد انتهت اللعبة، ليزا. لقد قمت بدورك من العرض السخيف الذي أرغمتك عليه، وأنا سأنفذ وعدي. المجلة بأمان، ووالدك لن يحظى بفرصة ليبدل رأيه الجيد عنك».

تنفس بقوة وهو يشعر كأن الهواء قد غادر جسمه، وتابع: «أنت حرة بالعودة إلى ديارك في هذه اللحظة، إذا كان هذا ما تريدينه. يمكنك أن تعودي إلى لندن في أقرب فرصة ممكنة، ما إن نستطيع تأمين حجز في الطائرة. كل ما عليك فعله هو أن تقولي إنك تريدين ذلك».

جمدت الصدمة ليزا، وأفقدتها قدرة النطق. إنه لا يريدها! كانت بقربه وهو يقول لا شكراً! قصده الوحيد والحقير هو إذلالها!

حاولت بيأس أن تفهم ما الذي يجري أمامها. نظرت إلى وجهه بعينين يائستين لكنها لم تجد أي جواب، إنه أحجية غامضة. فمزاجه يتغير بسرعة وكأنه ما زال مراهقاً. الذهاب إلى ماربيلا عند الصباح، والآن هذا...

الآن بعد أن أثبت لنفسه أن بإمكانه أن يجعلها تذوي بين يديه، راغبة به، يقوم برميها كأنها شيء لا قيمة له عندما قرر أنها كذلك.

- أنت إنسان تافه وفاسد! هل تعلم ذلك؟

انفجرت بإحساس غريب من الكره له، وهي تشعر بالإذلال في داخلها. حاولت أن تبتعد عنه إلى أبعد مكان ممكن. يا له من شخص متوحش!

يدان لطيفتان أحاطتا بكتفيها، وظهرت ابتسامة رقيقة على وجه دييغو، وقال: «اهدئي، واسمحي للإنسان التافه الفاسد أن يكمل ما يقوله».

اختفت ابتسامته بسبب الغضب الذي ظهر على وجهها. قال بصوت مرتجف: «أريدك أن تبقي. صدقيني، أريد ذلك أكثر من أي شيء آخر. لكن فقط إذا أردت أنت ذلك، بدون أي تهديد فوق رأسك. ليزا، أنت لا تدينين لي بشيء. وإذا بقيت هنا فيجب أن يكون ذلك بملء إرادتك الحرة. وإلا، لن يكون هناك أي معنى للحب بيننا. هل تفهمين ما أقول؟».

غرقت ليزا بالصمت، ثم رفعت يديها لتمسك بوجهه الغالي. شعرت فجأة بقلبها يمتلىء وكأنه سينفجر، يريدها دييغو أن تبقى معه! قال ذلك بطريقة جادة جعلت قلبها يعتصر. يريد أن يكون هناك حب بينهما وليس علاقة عابرة، ويريد أن يكون لتلك العلاقة معنى ما.

إنه حقاً يهتم بها. هذا واضح جداً، أليس كذلك؟ تحول تنفسها إلى تنهيدة عاطفية، واقتربت منه آملة أنه يتذكر الأوقات الرائعة المميزة التي عاشاها في الماضي، وأن يكون نادماً لأنه لم يكن صادقاً معها ربما...

قالت له هامسة كأنها تعترف: «أريد البقاء، دييغو. أريد أن يعود كل شيء بيننا كما كان في السابق».

أجابها دييغو بقلق: «هذا لن يحدث يا ملاكي، فلا أحد يستطيع استعادة الماضي. فنحن الآن أكبر وأتمنى أن نكون أكثر حكمة. كل ما نستطيع فعله هو أن نركز على الحاضر».

تابع بصوت مليء بالعاطفة، وهذا ما لم تسمعه منه من قبل: «أنت جميلة جداً، ليزا. وأنا مشتاق إليك كثيراً، لطالما حلمت بك طوال سنوات. لن تجدي في فكرك بعد اليوم مكاناً لأي رجل آخر».

لم يكن هناك أي رجل آخر! فكرت ليزا بذلك وتساءلت إن كان عليها أن تقول له ذلك، لكنها لم تفعل. فما يهمها هو أنها الآن معه.

استيقظت ليزا صباح اليوم التالي، بسبب أشعة الشمس القوية. سمعت أصوات الطيور تزقزق في الحديقة... أصواتاً ناعمة تناسب مزاجها فعلاً. نهضت من السرير وهي تحدق بالمكان حولها كأنها تراه

للمرة الأولى. اليوم، شعرت أن كل ما حولها اكتسب معنى جديداً، واكتسى بحلة أكثر بهاء.

لا بد أن دييغو قد نهض. تنهدت بارتياح عندما فكرت به. بإمكانه تغيير مزاجه كما يغير جواربه، لكن هذا ليس مهماً، فهي تعرف أنه يهتم لأمرها. ما يشعر به نحوها أعمق بكثير من مجرد إعجاب وانتقام، وهي تعلم ذلك. ألم يعرض عليها أن تذهب إذا ما رغبت بالمغادرة؟ ألم يعترف لها أنه يريدها أن تبقى، لكن فقط إذا أرادت هي ذلك؟

لا يمكنه أن يظهر لها عواطفه الحقيقية نحوها بصورة أفضل، أليس كذلك؟

ضمت ذراعيها حول صدرها. شعرت ببعض الارتباك من شدة السعادة. على الرغم مما قاله، بإمكانهما استعادة الماضي. وإذا كان لا يزال ينكره، عليها أن تعمل على تبديل رأيه.

سمعت طرقة خفيفة على باب غرفتها، فارتدت عباءتها على عجل وسارت لتفتح الباب. دخل دييغو إلى الغرفة مبتسماً، وهو يحمل باقة من الأزهار البرية لها. إلا أن عينيها تركزتا عليه فقط، مأخوذة بسحره الفاتن.

بدت نظرة عينيه دافئة، وانتقلت عدوى ابتسامته إليها. لاحظت أنه يرتدي قميصاً قطنية بدون أكمام، التصقت بكتفيه العريضتين، وقد بدت ساقاه طويلتين في بنطلون جينز بلون الرمل. اصطبغت بشرتها الشاحبة بلون زهري ما إن رأت عينيه ترمقانها بنظرات الإعجاب. أسبلت جفنيها، إذ لم تعد تستطيع النظر إليه. إنها تحبه وتريده بكل جارحة من جوارحها.

سار دييغو نحوها وتابع سيره من دون أن يلمسها. بدا الحزن على وجه ليزا، لكنها نسيت ذلك بسرعة عندما رأته يضع الأزهار على الطاولة قرب السرير ويستدير نحوها قائلاً: «قمت بنزهة صباحية، وقطفت هذه الأزهار لك».

www.rewity.com Memoria6555

توقف قليلاً عن الكلام وتابع وقد التوى فمه بابتسامة ماكرة: «قبل ذلك قمت بإعادة الماس الذي تركناه في الحديقة البارحة إلى مكانه».

استقام في وقفته وقد أبعد قدميه عن بعضهما. بدا شعره الناعم مشعثاً بسبب النسيم الناعم الذي عبث به، أما عيناه فكانتا تبتسمان لها. تابع: «تركنا هناك ثروة من الماس. أتذكرين؟».

شهقت ليزا عندما تذكرت الأمر. لكنه طمأنها بقوله: «الماس أصبح في الخزانة الحديدية. وكل شيء على ما يرام».

بعد أن فعل ذلك سار عبر التلال ليوضح أفكاره، لأنه لم يكن راضياً عن نفسه. يمكنه فقط أن يصف تصرفاته بالمرعبة. لقد انجرف بطبع غاضب مخزٍ لم يعانِ منه من قبل، بعد أن اعترفت له أن السبب الوحيد لموافقتها على عرضه هو رضى والدها عنها. لم يدرك ما الذي كان يحدث له فعلاً! صفعته تلك الحقيقة في وجهه، فقرر أن يعاقبها.

كان في الواقع يغرم بها من جديد، لكنه عنيد جداً، ليعترف بذلك أمام نفسه. إنه لا يهتم مطلقاً لكيفية تصرفها في الماضي. يا إله السماوات! كانت أكبر قليلاً من طفلة في ذلك الوقت!

اقترب منها برقة وضمها بين ذراعيه ليعانقها، كأنه أراد أن يعوضها عن ذلك الألم الذي سببه لها ابتزازه لها وعناده في الاعتراف بحبه بها. شعر بها تذوب بين ذراعيه، لكنه أجبر نفسه على الابتعاد عنها، ثم نظر إليها متسائلاً وقال: «سيصبح الفطور جاهزاً بعد نصف ساعة، أيناسبك ذلك؟».

هزت ليزا رأسها بصمت، فأحنى ديبغو رأسه متفهماً. كانت تقف وكأن قدميها قد التصقتا بالأرض، فتراجع خطوة إلى الوراء، واضعاً يديه في جيبي بنطلونه. قال بصوت أجش مليء بالتفهم: «أعلم أنني إن لمستك ثانية فلن نتمكن من مغادرة الغرفة. وأنا لدي خطة أخرى لقضاء هذا النهار. هناك كهف أعرفه لا يبعد من هنا أكثر من ساعة في السيارة. لا أحد أبداً يذهب إلى هناك، وسنكون هناك فقط نحن الاثنان».

أراد أن يضمها بين ذراعيه مرة أخرى، وأن يشعر بجسمها الجميل قربه. أراد أن يعانقها حتى ينسيا معاً في أي كوكب هما. كان يريد ذلك بقوة لدرجة أنه لم يعرف كيف تمكن من الخروج من الغرفة. لكن كيف يمكنه التحدث معها بمنطق وهما معاً في موجة من الحب العارم؟.

على الشاطىء الفضي السري، سيكونان فقط هما الاثنان، ولديهما كل الوقت في العالم. عندها يمكنه أن يفتح قلبه لها. بإمكانهما إعادة النظر بكل ما حدث في الماضي، ليخططا معاً للمستقبل. مستقبل طويل وسعيد لهما معاً، إذا رضيت أن تتزوجه، وتقع في غرامه من جديد.

أما إن كانت لديها مشكلة بشأن هذا الأمر، فسيعمل على إقناعها بكل ما يملك من حب وشوق إليها. هذا ما قرره وقد سيطر عليه شعور قوي بالتملك الإسباني، قبل أن يعيد تفكيره إلى الأمور العادية. سار باحثاً عن روزا لتحضر لهما سلة كبيرة مليئة بالطعام الشهي للنزهة.

* * *

لم تستطع ليزا التحرك لبعض الوقت وهي تحتفظ بابتسامة لطيفة على وجهها. هي وديبغو سيمضيان النهار معاً. لن يكون كيوم البارحة، حيث كان يتجول قربها ووجهه غاضب كالرعد، منفقاً المال عليها وكأنها واجب ضروري وغير سار. أو كالأيام الماضية التي مرت دون أي لقاء باستثناء أوقات الطعام. سوف يمضيان النهار كحبيبين حقاً! حسناً! إنها متأكدة من ذلك.

شهقت بغتة عندما أدركت أن الوقت يطير بسرعة. استحمت وعادت بسرعة إلى غرفة النوم لترتدي ثيابها. ارتدت قميصاً قطنية ناعمة بدون أكمام، لونها كلون عينيها، مع أزرار صغيرة من الأمام. آه! تستطيع تخيله وهو ينظر إليها بإعجاب...

قبل أن تستولي عليها تلك الأفكار ارتدت تنورة واسعة بلون القشدة واضعة طرف القميص تحت خصرها الضيق. سرحت شعرها حتى عاد إلى طبيعته الناعمة، وتساقط على كتفيها كالشلال.

بدت متوترة كأنها عصفور في قفص. اعترفت بذلك ما إن انتعلت حذاءً يناسب زيها. وشعرت بالخوف مما سيجلبه لها المستقبل.

ماذا إذا رأى دييغو المستقبل مجرد أسابيع قليلة أو ربما عدة أيام فقط، قبل أن يعود ثانية إلى حياته المليئة بالأعمال؟ ليقول بعد ذلك: «الوداع... من الرائع أننا التقينا ثانية... أراك في وقت ما... ربما...»

تنفست بعمق لتتمكن من تهدئة أعصابها، وأمرت نفسها بالتوقف عن الخوف بدون مبرر. فهي بدون شك تعني الكثير له، أليس كذلك؟

بالطبع، تعني له الكثير.

ولتمنع نفسها عن التفكير بذلك السيناريو السيء، قررت أن تتوجه إلى غرفة دييغو كي ينزلا معاً لتناول الفطور.

وجدت باب الغرفة مفتوحاً، لكن دييغو لم يكن هناك. دخلت لتلقي نظرة إلى الداخل بدافع الفضول. كانت هذه الغرفة بسيطة وبعيدة عن كل زينة، يحتلها سرير كبير. أرضها تلمع كالرخام وليس عليها أي سجادة. فيها خزانة كبيرة، محفورة بأشكال الفواكه وأوراق الكرمة. رأت مكتباً وحيداً في أحد جوانب الغرفة بين نافذتين كبيرتين. واقتربت من المكتب، ولاحظت المصباح المنحني والأقلام في الموضوعة في كأس كبيرة على شكل قرن.

ثم رأت صورة في إطار فضي بسيط؛ زوجان جميلان في منتصف العمر. هل هما والداه؟ مررت إصبعها فوق الإطار، وتساءلت إن كانت ستقابلهما يوماً. حاولت أن تلغي من ذاكرتها كلامه الجارح: هناك نساء يسعد الرجل بتعريف أهله عليهن، ومن الواضح، أنك لست منهن».

كان ذلك قبل أن يجدا بعضهما مرة ثانية. أصبحت الأشياء مختلفة كثيراً الآن. بالطبع أصبحت مختلفة! أكدت لنفسها بقوة.

لمحت إطاراً أصفر اللون شبه مختبيء وراء صورة الزوجين تلك. بفضول، رفعت الصورة لتراها بوضوح. وعلى الفور توقف قلبها عن

الخفقان، ثم انسحق بقوة. لن تنسى مطلقاً صاحبة الوجه الرائع الفاتن... وجه المرأة التي رأتها معه منذ خمس سنوات. شعرت بالغثيان ودفعت الصورة بعنف بعيداً عن ناظريها.

ما كان ليحتفظ بصورتها قرب سريره لو كانت مجرد علاقة عابرة في حياته، وجزء من حياته العابثة. هل يفعل؟ لا بد أنها شخص مهم ومميز بالنسبة إليه. معرفة ذلك جعلت ليزا تشعر بالبرد والخوف. أتراها فهمت الأمور بصورة خاطئة؟ هل سيتحطم قلبها من جديد؟ وهل ستتمكن من تحمل ذلك؟

هل تزوج من تلك المخلوقة الرائعة التي تضج بالحياة؟ ولهذا السبب يحتفظ بصورتها بجانب صورة والديه؟ أهي جزء من العائلة؟ هل يخون دييغو زوجته، ويعاملها هي نفسها، ليزا، كأنها لا شيء أكثر من عملٍ غير منتهٍ؟

لقد اعتاد على التلاعب بالنساء وخداعهن. أليس كذلك؟ إنها تعلم ذلك بنفسها. كان عليها أن تتذكر ذلك.

غطت فمها المرتجف بيدها لتخنق صرخة من الألم. تزايدت شكوكها بسرعة وبكثافة. لماذا لم تفكر بأن تسأله عندما كان في لندن إن كان متزوجاً؟

خرجت من الغرفة وهي تترنح. عليها أن تعالج هذه المسألة على الفور. هذه هي المرة الأخيرة، التي تواجه فيها برهاناً عن خيانته. لقد أبعدته بقسوة عن حياتها في السابق من دون أن تقول له السبب.

هذه المرة سيكون الأمر مختلفاً جداً.

٩ - زيارة غير متوقعة

هادئة! مهما كلفها ذلك عليها أن تبقى هادئة. كررت ليزا ذلك على نفسها وهي تسير عبر الممرات العليا للدير القديم، متجهة نحو الدرج الحجري الذي ستنزل عليه إلى القاعة الكبرى الرائعة الجمال.

لا بد من وجود تفسير منطقي لوجود هذه الصورة في غرفة نوم دييغو، مع أنها لو عاشت عمراً كاملاً لما وجدت سبباً واحداً لذلك. إنها تحبه حتى لو كان أنانياً مخادعاً. استحضر ذهنها تلك الصفات بسبب شكوكها غير المرغوب بها.

تمنت لو أنها تستطيع التوقف عن حبه، لكنها تعلم أنها لا تستطيع. كان بإمكانها الزواج من شخص عزيز، أهل للثقة، وأمين هو بن. فتمضي حياتها في هدوء وثبات، متجنبة العواطف المشتتة والمتناقضة في كونها مجنونة بحب رجل لا تستطيع الوثوق به تماماً، كما لا تستطيع أن تتخلى عنه. إنها ترغب بقوة أن تثق به، لكن كيف يمكنها ذلك؟

توقفت في الطابق الأول لتسمح لدقات قلبها أن تهدأ ولو قليلاً. اتكأت على حجارة النافذة الباردة. عليها أن تكون منطقية وهادئة في معالجتها لهذه المشكلة، ولن تسرع بإلقاء الاتهامات التي قد لا تجد لها دليلاً.

لم تعد تلك الساذجة التي تبلغ الثامنة عشرة من عمرها، والتي غادرت للتو مقاعد الدراسة. هذا ما ذكرت نفسها به بغضب وتكبر. لقد أصبحا الآن كما قال دييغو أكبر وأكثر حكمة. عليها أن تحاول الوثوق به على الرغم من الذكريات المحزنة لما حدث معهما منذ سنوات بعيدة.

علمت أنها تأخرت عن موعد نصف الساعة التي أعطاها إياها

دييغو. مهما يكن، عمدت إلى التأخر لبضع لحظات أيضاً، وقد جذبت انتباهها سيارة رياضية صفراء اللون مشعة متوقفة بطريقة منحرفة عند الممر الحجري في الباحة الأمامية للمنزل.

لدى دييغو زائر. هذا ما استنتجته وهي تشعر بالمزيد من التوتر. إنه ليس وقتاً مناسباً للزيارة! ربما عليها أن تؤجل المصارحة إلى وقت آخر... وربما لن يكون ذلك أمراً سيئاً. قالت ذلك لنفسها وهي تفكر، وبدأت بالسير على الدرج الأخير الذي يوصل إلى الطابق الأرضي. سيعطيها ذلك المزيد من الوقت لتهدأ كلياً وتشفى من الصدمة التي سببتها لها رؤية صورة تلك المرأة في غرفة نوم دييغو.

لا شهية لها مطلقاً لتناول الفطور الذي يقدم عادة في الحديقة. لكن إذا كان هناك بعض القهوة الممتازة التي تعدها روزا، فهي بدون شك ستشرب فنجاناً من القهوة.

أعجبتها فكرة الجلوس في هدوء وعزلة في الحديقة؛ التنفس في الجو الدافئ المعطر، الإصغاء إلى أصوات الحمام الرخيمة، رؤية الماء ينبثق من نافورة حجرية وسماع حفيف أوراق شجرة التين القديمة من خلال النسيم العليل... بدا لها أن هذا ما تريده بالتحديد بانتظار تخلص دييغو من ضيفه.

من المؤكد أن البقاء في جو من السلام كهذا سيساعدها للوصول إلى حل أكثر نضوجاً ووعياً...

أسرع طريق للوصول إلى هناك هو عبر البوابة الخارجية للمكتبة، بدلاً من الأبواب الفرنسية التي توصل إلى الصالون الصغير الذي تستعمله عادة. ودفعت الباب الثقيل المصنوع من السنديان لتفتحه. عليها أولاً أن تسمع وجهة نظر دييغو في الموضوع. فمن المحتمل أن تكون قد كونت فكرة خاطئة كلياً، وذلك قد يؤدي إلى السؤال عن سوء تصرفها السابق منذ خمس سنوات.

كانت تلك آخر فكرة منطقية لديها، لأن ما كان على دييغو قوله بشأن

صاحبة الصورة الفضية أصبح أمراً منسياً بعد أن رأت صاحبة الصورة بنفسها. كانت المرأة جالسة على الطاولة تحت شجرة التين، وفيض من الدموع ينهمر كالشلال على وجهها الجميل. أما دييغو فكان يجلس على المقعد المقابل منحنياً إلى الأمام، ممسكاً بيديها بين يديه، ويتحدث معها. لم تكن ليزا قادرة على سماع أية كلمة من تلك المسافة، لكن بدت لها نبرة صوته مشجعة مهدئة، ومما لا شك فيه أنه كان راغباً في استرضاء تلك المرأة.

شيء ما أثار غضب الفتاة الجميلة... حدث ذلك بسرعة، ما جعل ليزا المتوترة بسبب الصدمة الأولى تزداد توتراً بسبب ما تراه أمام عينيها. لم تستطع إلا أن ترتجف غير مصدقة ما إن وقفت المرأة الأخرى بسرعة، وقد بدت منفجرة من الغضب، وراحت تصرخ بحدة وجنون. الكلمة الوحيدة التي تمكنت من فهمها عبر موجة من الكلام الإسباني هي «برفيديا».

أليست هذه الكلمة هي واحدة من كلمات أخرى استعملتها ليزا بنفسها وهي تصف الرجل الذي خانها مع هذه المرأة بالذات منذ خمس سنوات؟

تجمدت ليزا في مكانها، وشعرت بألم شديد في معدتها، وهي تراقب دييغو ينهض على الفور ويمسك بيدي المرأة اللتين كانتا تلوح بهما. قال بعض الكلمات الهادئة مطلقاً الأعذار، ثم ضمها بين ذراعيه لتستكين هناك. رأته يضغط على الرأس المغطى بالشعر الأشقر بنعومة على كتفه العريضة، ويهزها بلطف إلى الأمام وإلى الخلف، إلى أن سارا على مهل نحو باب المنزل.

ما إن اختفيا في الداخل حتى عضت ليزا على قبضة يدها لتمنع نفسها من البكاء بصوت عالٍ. لم تكن لديها أية فكرة عما يجري أمامها، لكنها استنتجت مما تراه أن هذين الشخصين لا يعرفان بعضهما معرفة سطحية! عاودها الشك أن المرأة الأخرى هي إما خطيبته أو زوجته، مما

جعلها تشعر أنها على وشك الإغماء...

الطريقة الوحيدة لاكتشاف ذلك هي أن تجدهما وتسألهما! الطريقة الوحيدة لتجعل ساقيها الثقيلتين كالرصاص قادرتين على الحركة هي أن تحاول التأكد بنفسها أن الأمر هو مجرد سوء تفاهم. لا شك أن ما يبدو مشكوكاً فيه في ظاهر الأمر يخفي تفسيراً بريئاً. فبعد التقارب الذي شعرت به مع دييغو ليلة أمس، يجب أن يكون الأمر كذلك. لن تستمر بتعذيب نفسها بالتفكير بطريقة أخرى، أليس كذلك؟

وجدت ليزا نفسها في القاعة الكبرى. كانت ترتجف من الداخل، وشعرت أن الجدران الحجرية القديمة ستجمدها حتى أعماقها بدلاً من أن تخلق حولها الجو اللطيف البارد المعتاد، كما شعرت بالصمت ملقى على كتفيها كالجبل الثقيل. الآن ستبدأ بالبحث عن دييغو وعن المرأة الأخرى، لكنها لا تعتقد أنها تملك الشجاعة الكافية لذلك.

ماذا لو كان ما تشك به حقيقة لا جدال فيها؟ هي لا تعتقد أنها تستطيع تحمل ذلك. ليس بعد أن عانقها دييغو بشغف، وجعلها تشعر بأنها المرأة الأكثر جمالاً وحباً في العالم كله.

ازداد توترها، وكادت تقفز عندما ظهرت روزا قرب كتفها، مع أن المرأة تنتعل حذاء ناعماً خفيفاً مريحاً. كان القلق بادياً على ملامح وجهها الجميل ولم تعرف ليزا سببه.

قالت لنفسها، عليها ألاّ تكون جبانة، عليها أن تنتهي من هذه المسألة.

بالطبع عليها أن تفعل ذلك! سألتها: «إني أبحث عن السنيور، فهل تعلمين أين هو؟».

تجهم سريع غطى العينين البنيتين الكبيرتين في وجه روزا قبل أن تجيبها: «علي أن آخذ لهما القهوة والعصير وأغادر... بمفردهما».

راحت روزا تتعثر بلغتها الإنكليزية البدائية، ثم تابعت: «أنت... غادري أيضاً. الأمر سيء... وجدت إيزابيلا الجميلة زوجها مع امرأة

أخرى. . . الكثير من الغضب. يحتاج السنيور ليكون بمفرده. غادري أنت أيضاً».

المغادرة! إنها الخيار الوحيد. هذا ما قررته ليزا بيأس وحزن ما إن اختفت روزا لتلبي طلب دييغو بإحضار القهوة والعصير. بالكاد تمكنت من الحركة بسبب الألم القاسي الذي كان مسيطراً على كل جزء في جسمها. جرت نفسها عبر الدرج إلى الجناح الذي أعطي لها. السماح لنفسها بأن تنخدع بدييغو مرة كان غلطة شنيعة، أما أن يحدث ذلك مرة ثانية فسيكون كارثة كبرى.

عدم معرفتها بأنه متزوج ليس بعذر كاف. انتقدت نفسها بقسوة وهي تغلق باب غرفة نومها وراءها، واتكأت عليه بضعف شديد. أحست بغثيان قوي وألم شديد في معدتها. كان عليها أن تسأله. . . كان عليها أن تعرف. فرجل رائع ووسيم بهذا المقدار، وثري إلى أقصى حدود الثراء كان ليخطف منذ سنين عديدة. . .

من الواضح أن إيزابيلا، كما أسمتها روزا، اكتشفت أن لديه امرأة مخبأة هنا. وكما اعترف بنفسه هذا هو مخبؤه الخاص، المكان الذي لا تزوره العائلة إلا نادراً، حيث بإمكانه أن يخفي نساءه وعلاقاته المشبوهة.

لكن لا بد أن أحدهم أعلمها بالأمر. هل أخبرتها روزا بالحقيقة لأنها تدين للعائلة بالولاء؟ لا شك أن الزوجة المخدوعة ظهرت هنا لتواجهه، طالبة منه تفسيرات لاختفائه هنا. لقد رأت ذلك بنفسها. فكرت بإرهاق شديد، لا شك أن زوجته المسكينة لديها ما يكفيها من المشاكل من دون أن تواجهه وجهاً لوجه بآخر أخطائه.

شعرت ببغض شديد لنفسها بسبب انجرافها خلف عواطفها. سارت ليزا بخطى متعثرة نحو الخزانة حيث علقت ثيابها، وبدأت بانتزاعها. ستأخذ فقط الأشياء التي أحضرتها معها. هي لا تريد مطلقاً أن تلمح ثانية الثياب الغالية التي اشتراها لها.

بعد دقيقة واحدة ستغير هذه التنورة الجميلة والقميص الرائعة. لكن

أولاً عليها أن تتأكد أن لديها كل ما تحتاجه. كان رأسها مصاباً بدوار عنيف، وأفكارها منشغلة باكتشافها المخيف. إذا لم تسيطر على نفسها بقوة قد تصاب بالهستيريا، ولن تعرف بحق السماء ما الذي ستفعله.

أخرجت محتويات حقيبة يدها، ورمت بها على السرير بجانب حقيبة ملابسها، وبجانب كومة الثياب التي وضعتها للتو. أخذت تقلب ما يسميه أي رجل بالخردة. أمشاط، أحمر شفاه، مناديل ورقية، مفاتيح، مفكرة للمواعيد قديمة، رزمة من الرسائل القديمة وبطاقات المعايدة من الأصدقاء. أمسكت بجواز سفرها ومحفظتها بقوة؛ ستستعمل بطاقة الائتمان لتتمكن من دفع تذكرة السفر. لكن لسوء الحظ، عليها أن تطلب من أحدهم أن يقلها إلى المطار.

هل سيرضى مانويل بالقيام بذلك؟ لن تجد صعوبة في إقناعه. فكرت وهي لا تزال تشعر بالدوار. ألم تصر روزا عليها لتغادر؟ لا بد أن المرأة الإسبانية منزعجة منها، وستعمل بكل تأكيد على جعل زوجها يسهل لها الخروج، وإن يكن فقط لتراها مغادرة.

راحت أصابعها ترتجف. بحذر، وضعت جواز سفرها ومحفظتها في القسم الخارجي من الحقيبة، وبدأت بوضع بقية الأغراض ثانية في الحقيبة.

في تلك اللحظة دخل دييغو. . .

بدا وجهه الوسيم متجهماً. من الواضح أن زوجته جعلته يعاني من وقت صعب وقاسٍ. نال ما يستحقه! هذا ما فكرت به ليزا وهي تحاول تجاهل طعنة الألم التي تمزق قلبها المحطم. لم تكن تريد رؤيته ثانية، لكن الآن، بعد أن حصل ذلك، لن تدعه يرى كم هي منزعجة ومحطمة.

- ماذا تفعلين بحق السماء؟

- وماذا تعتقد أنت؟

تمتمت بعصبية وهي راغبة في أن تخنقه، ثم تابعت: «لا داعي لأن تصرخ في وجهي. إنها غلطتك إذا كانت زوجتك قد كشفت تصرفك

المشين. لذلك لا تلقِ اللوم علي».

أمسكت برزمة المناديل الورقية، ويبدو أن يدها أصابت أحد الأغراض فانقلب عن السرير.

– روزا، لشدة حكمتها، نصحتني بأن أغادر، ولهذا تراني أوضب حقيبتي. إنه أمر منطقي في ظل هذه الظروف. ألا يمكنك قول ذلك؟

وقف مستقيماً على الفور بعد أن انحنى ليلتقط الغرض الذي سقط عن السرير. تنفس دييغو بقوة من بين أسنانه، وعقد حاجبيه وهو يسأل: «كرري ما قلته سابقاً. لماذا بحق السماء طلبت منك روزا الرحيل؟ بأي حق تفعل ذلك؟ وعن أية زوجة تتحدثين؟ فليس لدي زوجة!».

رماها بنظرة غاضبة ملؤها الغموض، فجلست ليزا على السرير وأطلقت تنهيدة كبيرة بدت كأنها آتية من أخمص قدميها.

إذاً هذه هي الطريقة التي سيستعملها معها؛ سيكذب عليها باستمرار! إنه نموذج صارخ للكاذبين والمخادعين.

لا بد أنه أقنع إيزابيلا الغاضبة بأن تعود من حيث أتت، وفي وقت سريع جداً. جعلها تصدق أن لا وجود لامرأة أخرى هنا معه، وأنه هنا بمفرده ليتناغم مع الطبيعة، أو أية قصة أخرى مشابهة لتلك.

لكنها ليست ساذجة ومن السهل خداعها. لا، بالتأكيد! قالت من بين أسنانها التي راحت تضغط عليها بقوة: «أحقاً؟ إذاً انتظرني هنا».

سارت بسرعة وخرجت من الغرفة وعلامات الغضب والاشمئزاز قد ملأت خديها باللون الأحمر الداكن. توجهت نحو جناحه، وسمعت وقع أقدامه الثابتة تتبعها. لم ينفذ دييغو تعليماتها بل سار وراءها.

تود البقاء بمفردها لبضع دقائق، بعيداً عن الرجل الذي ترغب بقوة بأن تسبب له ضرراً حقيقياً. لكن على الأقل، بهذه الطريقة لن تجبر نفسها على البقاء لأكثر من عدة دقائق فقط في هذا المكان.

انقضت على غرفة نومه، وسارت على الفور نحو الصورة الموضوعة في إطار. التقطتها، واستدارت لمواجهته. كان يقف كالبرج فوقها، وقد

امتزجت الحيرة مع التوتر في ملامحه. بدا بوضوح على ملامح وجهه الوسيمة أن الوضع الذي وجد نفسه فيه يسبب له الارتباك.

أشارت ليزا بإصبعها إلى وجه المرأة الجميل المبتسم وقالت: «هذه المرأة هي المرأة التي رأيتك معها في ماربيلا في تلك الليلة الأخيرة. كنتما سعيدين جداً... حتى إن صوفي قالت إنكما زوجان رائعان...!».

كانت تعابير وجهه تبدو كتعابير رجل أصيب على رأسه بحجر كبير. لكن هذا لن يحولها إلى حمقاء، ليس للحظة واحدة!

– وأنا وجدت هذه.

مرة ثانية أشارت بإصبعها إلى صورة إيزابيلا، وتابعت: «رأيتها هذا الصباح... بعد أن تقاربنا وانسجمنا معاً مساء أمس».

ما إن انتهت من تلك المواجهة الضرورية حتى فكرت أنها قد تشعر في ما بعد أنها حمقاء كبيرة، فتذرف الدموع كل ليلة لمدة سنة من الآن. لكن في هذه اللحظة لم تتمالك نفسها، وجعلها الغضب تهاجمه بعنف.

– خرجت أبحث عنك لأسألك تفسيراً عن علاقتك المستمرة بها، ورأيتها أمامي. رأيتها تعاني من حالة هستيرية، وأنت كنت... كنت...

خانتها الكلمات بسبب غضبها، مع أنها كانت ترغب في أن تصرخ في وجهه، لكنها تمكنت من المتابعة بتوتر: «... تضمها إليك وتهدهدها».

ارتفع صوتها حتى قارب الصراخ: «بعد ذلك أخبرتني روزا أن إيزابيلا انفجرت من الغضب لأنها... وجدت أن لديك امرأة أخرى... طلبت مني أن أرحل».

حاول دييغو جاهداً أن يجد شيئاً من المنطق في كلماتها المتناثرة التي راح فمها الرائع يتفوه بها، لكنه شعر كأنه يسير في ضباب كثيف. ثم ما لبث أن دخل في منطقة مضاءة بنور الشمس! التوى فمه على رضى داخلي كبير، إنها تتصرف كامرأة سليطة اللسان بسبب الغيرة. رائع! هذا خبر رائع! هذا يعني أنها تهتم لأمره.

مدّ يده ليأخذ صورة إيزابيلا منها، وفجأة أدرك أن هناك شيئاً ما في راحة يده الأخرى. فتح قبضة يده على لمعان خاتم يحمل حبوب ماسٍ صغيرة، كان قد رآها تضعه في إصبعها ليلة خطوبتها.

سحب نفساً قوياً، وفكر أن هذا لا يعني شيئاً. قدم الخاتم لها، فتفاجأت ليزا وأصبح وجهها قرمزي اللون. أخذته منه وهي تشعر بالرعب، أرادها بن أن تحتفظ به كذكرى لحبه لها، وما الذي فعلته؟ وضعته بدون اهتمام مع أشياء أخرى لا قيمة لها في حقيبة يدها!

هي تعلم أن بن لن يسألها عنه يوماً، لكنه يستحق العناية، فهو تعبير عن الصداقة والحب الكبير الذي رافقهما معظم حياتهما.

أنّبت نفسها لأنها لم توله أية عناية، و سرعان ما وضعته في إصبعها من أجل الحفاظ عليه. راقبها دييغو تفعل ذلك وقد ضاقت عيناه فجأة. قال لنفسه إن وضعها لخاتم رجل آخر لا يعني أي شيء.

بدت ليزا متوهجة من الغضب، وجميلة بشكل رائع. والآن بعد أن توضح كل شيء، لا يستطيع إلقاء اللوم عليها.

ما إن سارت لتتخطاه خارجة من الغرفة، وعلى ما يبدو خارجة من حياته، وضع دييغو يديه الاثنتين على كتفيها الناعمتين المتوترتين، وأدارها لتنظر إليه.

نظرت عيناها الزرقاوان بلون البحر إليه نظرة قاتلة، فابتسم دييغو. من المحتمل ألا تكون ابتسامته عملاً حكيماً في مثل هذه الظروف، لكنه لم يستطع إلا أن يبتسم.

لقد اتخذت ليزا موقفاً عدوانياً منه كالهرة البرية، وبدت جاهزة لاستعمال مخالبها.

ما إن رفعت يدها الصغيرة لتصفعه وتزيل تلك الابتسامة عن وجهه حتى أمسك يدها، واضعاً ذراعه حول خصرها النحيل. وبرشاقة أجلسها على السرير، وجلس قربها بسرعة.

- هل يمكنك التوقف عن معاملتي بهذه القسوة؟

ارتجفت شفتها السفلى، وغادرها الغضب الذي كان مسيطراً عليها، وتحول إلى تذمر. أصبحت أنفاسها سريعة قصيرة. لاحظ دييغو ذلك وقد سيطر عليه إحساس كبير من العطف نحوها، وشيء آخر من الشوق أيضاً. فهي تبدو رائعة جداً، وهو يرغب في أن يضمها إليه لأنه توصل إلى قرار هام في حياته: إنه يرفض أن يمضي ما تبقى من حياته بدونها!

- معاملتك بقسوة ليس ما أفكر به إطلاقاً.

أكد لها ذلك بقوة، عندما شعر بها ترتجف. توقف عن التقرب منها، وأعاد تفكيره إلى الوضع الحالي بين يديه.

ضغط بضيق على حلقه، وقال بصوت عادي: «أعتقد من خلال كلامك المهين أنني فهمت ما الذي جعلك تثورين كالبركان».

عيناه اللتان استقرتا على ملامح وجهها الحزين أصبحتا أكثر رقة بسبب التعاطف معها. كان يرغب بقوة أن يضمها إليه ويجعلها تؤمن أنه يحبها، وأنه لم يتوقف يوماً عن حبها، لكن عليه أن يتخلص من هذه الفوضى أولاً.

- إيزابيلا، الفتاة التي رأيتني برفقتها في ماربيلا، والتي ترينها في هذه الصورة هي شقيقتي. في تلك الليلة الأخيرة، عندما طلبت مني أن أقابل صديقيك، كنت قد خططت لأشرح لك من أكون، وأن أعرفك على الشخص الوحيد من عائلتي الموجود في إسبانيا. في ذلك الوقت كان والداي خارج البلاد، يقومان بزيارة إلى أقاربنا في جنوب أميركا.

اضطربت ليزا وشعرت بالحيرة مما سمعته. نظرت خلسة إليه. كان يبدو جاداً فعلاً، لكن... هل صدقه هذا مجرد مخزون من تملقه وخداعه؟

أطلقت نفساً حاداً، وأدارت بصرها لتحدق إلى موضع قدميها. إنها تريد أن تصدقه، لكن الجلوس بجانبه على هذا السرير ليس أفضل فكرة في العالم.

- التقينا أنا وإيزابيلا في ماربيلا، فأصرت على الذهاب معي وأنا أختار الخاتم الذي كنت أرغب في تقديمه لك. وإذا كنت قد رأيتنا وقررت

أننا كنا كالمغرمين. . . حسناً! أعتقد أنه كان من السهل أن تحظي بهذا التصور والانطباع.

أمسك بذقنها وأدارها لتواجهه، ثم تابع: «ليزا، شقيقتي، هي ملكة الدراما في الحياة منذ يوم ولادتها، فهي تبالغ دائماً في تصرفاتها. كانت سعيدة جداً لأن أخاها الغالي قد وقع في الغرام فعلاً، وسيقدم على الخطوبة، وكانت مصممة على الاحتفال بذلك طوال الوقت».

شعر بعظامه تذوب عندما رأى ارتجاف شفتيها، وحدقتي عينيها اللتين امتلأتا بالدموع. جاء صوته مرتجفاً وهو يتوسل إليها أن تصدق ما يقوله صدقاً تاماً. تابع يقول: «تلك الطبيعة نفسها والعناد القوي فيها جعلاها تخرج من بيتها هذا الصباح باكراً باحثة عني، وهي تقسم إنها ستترك سيزار، زوجها المحامي اللامع، لأن لديه علاقة غرامية مع مساعدته الشخصية الجديدة».

مسح بإبهامه بنعومة دمعة تساقطت على خدها مكملاً كلامه: «وهذا كلام لا جدوى منه، بالطبع. عملت على تهدئتها واتصلت بسيزار الذي كان قلقاً بشكل لا يوصف. من الواضح أن صديقة مزيفة لإيزابيلا أخبرتها أنها رأت سيزار في أحد أكبر مطاعم سيڤيل مع مساعدته الرائعة الجمال، بينما قال لها هو إنه سيعمل حتى ساعة متأخرة. حسناً! هذا تماماً ما كان يفعله، كان لديه عشاء عمل مع زبون مهم جداً، ومساعدته كانت هناك لتسجيل الملاحظات، لا لأي شيء آخر. فسيزار يحب إيزابيلا حتى الجنون، وفكرة أن يخونها لم ترد مطلقاً على باله».

- هذا ما فعلته أنا طوال السنين الماضية، أليس كذلك؟ بالغت في ردة فعلي فأفسدت ما كان بيننا. قررت أنك نادل فقير، ومن الأشخاص الذين يلاحقون النساء من أجل مالهن.

اعترفت ليزا بذلك بحزن كبير بعد وقت طويل من الصمت. شعرت بالذنب فعلاً بسبب النعوت السيئة التي أطلقتها عليه في رأسها، وشعرت بألم في قلبها لمجرد التفكير بما فعلته.

شهقت بيأس. . . منذ خمس سنوات أحبها هذا الرجل الرائع واختار خاتماً لها ليجعل خطوبتهما رسمية، وهي عملت على إفساد كل شيء، وفكرت أسوأ الأفكار بشأنه. لم تعطه فرصة ليقول أية كلمة، فقط فتحت فمها الكبير وأبعدته عنها.

- لا تبكي!

وقف ديبغو على قدميه وسار إلى الطاولة الموضوعة بجانب السرير ليحضر منديلاً ورقياً. بدون أن يتفوه بأية كلمة، أعطاها إياه ووقف منحنياً فوقها. راقبها وهي تمسح عينيها ثم تمزق المنديل إلى قطع صغيرة جداً. بدت صورة واضحة عن البؤس والحزن معاً. دق قلبه بقوة تعاطفاً معها. إنه يعرف تماماً ما الذي تشعر به. هو أيضاً نادم وبشكل كبير على سوء التفاهم الذي مرّ معهما منذ خمس سنوات. تلك السنوات الضائعة. . . القاحلة. . . الحزينة. . .

لكن اللحظة مرت، والحزن على ما لا يمكن تغييره هو عمل الأغبياء. فقط المستقبل هو المهم. ما إن تصبح إيزابيلا بأمان وهي في طريقها إلى سيڤيل، سيجد كل الوقت في العالم ليقنع هذه المخلوقة الرائعة الرقيقة التي يحبها حتى العبادة أنه يحبها أكثر من الحياة نفسها. وسيطلب يدها للزواج، سيركع على قدميه ويتوسل إليها إذا كان ذلك ضرورياً! لكن حتى حدوث ذلك. . .

سألها بضيق، مخاطباً الشعر الأشقر الحريري فوق رأسها المنحني فيما هي تنظر إلى حضنها: «هل يمكنك أن تتذكري كيف طلبت منك روزا أن تغادري؟».

كان ذلك الأمر الذي يشغل باله. فالعمال لديه ليسوا معتادين على إخبار ضيوفه ماذا يجب أن يفعلوا.

كانت أفكار ليزا منشغلة بتصرفها السيء الذي أبعد هذا الرجل الرائع عنها. ليس فقط منذ خمس سنوات، بل هذا الصباح أيضاً. إنه رجل فخور بنفسه، شريف وصادق. وهو لن يستسيغ فكرة أنها اعتبرته أولاً

شخصاً يتودد للنساء كي يعيش، ثم اعتبرته غشاشاً وزوجاً مخادعاً. ليلة البارحة صدقت حقاً أنه يهتم بها، وأن بإمكانهما وضع الماضي وراءهما والبدء من جديد. أما الآن فلا شك أنه يحتقرها، أو أنه يعتقد أنها مجنونة بشكل كامل. وهو يريدها أن تغادر في أقرب فرصة ممكنة.

سألها دييغو بنبرة لاذعة: «ألا تستطيعين التذكر؟».

ارتجفت ليزا. لقد نفد صبره منها، وهي لا تستطيع أن تلومه. تذكرت السؤال، وشعرت بالخدر. قالت: «آه! ذلك...».

قالت له ماذا أخبرتها روزا حرفياً، بعد ذلك شهقت من المفاجأة عندما وضع يديه القويتين حول خصرها وشدّها لكي تقف على قدميها.

- تجد روزا صعوبة في التحدث باللغة الإنكليزية. لقد طلبت منها أن تحضر القهوة والعصير، وبعد ذلك أن تعمل على أن نبقى أنا وإيزابيلا بمفردنا. طلبت منها أن تبلغك هذه الرسالة مع اعتذاري. كنت بحاجة لبعض الوقت لأعمل على تهدئتها، ثم الاتصال بسيزار. هي لم تقصد أبداً أن عليك مغادرة المنزل.

للمرة الأولى في حياته تمنى دييغو لو أن أخته لا تأتي راكضة إليه في كل مرة تواجهها مشكلة تزعجها. إنه يريدها الآن بعيدة عنه، وبعيدة من هنا، ليبدأ حملته في إقناع ليزا بالزواج منه.

- هيا! لنجعلك تبدين أفضل من يوم ماطر، ثم نذهب لنبقى برفقة إيزابيلا.

يدان لا تحملان أية عاطفة أبعدتا شعرها عن وجهها بينما كان يقول لها: «سيزار في طريقه الآن إلى هنا ليأخذ إيزابيلا. سيحضر معه أحد الموظفين ليقود سيارتها، فهو يرفض أن تقود السيارة عندما تكون في هذه الحالة. هذا ما تكون عليه إيزابيلا عادة: إما سعيدة بشكل لا يوصف كأنها تحلق في السماء، أو محطمة كأنها في قعر محيط داكن».

ضاق فمه ما إن لمست أطراف أصابعه جانبي وجهها! لمسة بشرتها تحرقه. يا إلهي! كيف سيتمكن من منع نفسه من أن يأخذها بين ذراعيه

ويعانقها؟ لكنه سيعوض عن ذلك في ما بعد، عندما يصبحان بمفردهما.

لاحظت ليزا الضغط القوي على فمه الجميل، وشعرت ببرودة الحقيقة؛ إنه لا يظهر أية ردة فعل عاطفية تجاهها رغم اقترابهما من بعضهما. عضت بقوة على شفتها السفلى لتمنع نفسها من البكاء. السحر الذي شعرا به ليلة أمس قد رحل تماماً وانتهى إلى الأبد... ها هي تخسره مجدداً لأنها لم تثق به، بل نعتته بصفات لا يمكن لأي رجل أن يتسامح ويغض الطرف عنها.

- في الوقت الحالي كلنا نحتاج إلى تناول الفطور.

قال دييغو ذلك وأشار بيده كأنه يدعوها لتسير أمامه باتجاه الباب. وهذا ما فعلته ليزا وخرجت، محاولة ألاّ تبدو منهارة كما تشعر فعلاً.

راقب بدون وعي منه كيف كانت ليزا تتنقل برشاقة ودلال وهي تخرج من الغرفة، فخنق دييغو تنهيدة كادت تصدر عنه. جزء منه يريد أن يجذبها إليه ليفتح قلبه لها... ليعترف أنه لن يرتاح حتى تعطيه كلمتها وتعده بأنها ستمضي بقية حياتها بقربه.

لكن الجزء المنطقي منه أصرّ عليه أنه بحاجة إلى أكثر من بعض الدقائق المستعجلة ليتمكن من إقناعها أنه، بالرغم من محاولاته المخجلة للانتقام، فهو حقاً يحبها!

١٠ - لست حبيبها!

وجدا إيزابيلا ممددة على كرسي طويل تحت أشعة الشمس على الشرفة. ما إن سقط ظل دييغو عليها حتى فتحت عينيها الناعستين قليلاً، وتمتمت بحزن: «تنغو ميشا هامبر».

- تحدثي بالإنكليزية، عزيزتي. لدينا ضيفة.

لا مجال للخلط أبداً بين نبرة الحب الخالص في صوته الآن مقارنة مع طريقته الغاضبة عندما كان يتحدث معها. لاحظت ليزا ذلك بإرهاق وانزعاج.

- نحن جميعاً جائعون. ولقد تأخر وقت الفطور بما فيه الكفاية.

قال دييغو ذلك بلطف وهو يأخذ بيدي أخته، ويساعدها كي تقف. قدّمها لأخته بنعومة، فيما بدت ابتسامته موجهة لأخته فقط: «إيزابيلا، أعرفك على ليزا بينغتون».

قابلت ليزا ابتسامة إيزابيلا الواسعة بابتسامة ضعيفة منها. لم يعد هناك أثر الآن لغضبها الهستيري السابق، هناك فقط نظرة دافئة من الفضول على ذلك الوجه المليء بالحيوية.

- هولا! لو سينتو... آه! نسيت. ممنوع التحدث بالإسبانية. أنت إنكليزية الجنسية، صحيح؟

شبكت إيزابيلا ذراعها داخل ذراع دييغو. كانت ترتدي بنطلوناً بألوان نارية وقميصاً بيضاء من الحرير. بدت مرتاحة جداً وهي تنظر إلى ليزا نظرة تقييمية: «أنت إذاً المرأة السرية، التي يخبئها أخي بعيداً عن عيون الناس».

عينان مثيرتان تلمعان بالاحتيال التقتا بعيني ليزا...

- أخبريني، كيف تمكنت من القيام بذلك؟ دييغو لا يتودد عادة للنساء، وهذا أمر محزن. من الرائع رؤيته يتصرف كإنسان عادي، كما نحن جميعاً. وهو ماكر أيضاً! أخبريني، هل أخي الأكبر ماكر فعلاً؟

قاطعها دييغو بطريقة قمعية: «والد ليزا هو شريك في الأعمال المستحدثة. وهي جزء من المؤسسة نفسها».

ها هو يصرف الأنظار بحدة عن موضوع ليزا في حياته، تابع قائلاً: «قلت إنك جائعة، لمَ لا نأكل إذاً؟».

لا يمكن إعطاء إيزابيلا ولو مجرد لمحة صغيرة عن العلاقة الرومانسية التي ستنشأ بينه وبين ليزا في المستقبل القريب، لأنها ستصبح عديمة الرحمة، كما يتذكر تماماً. ستبدأ بالممازحة السمجة التي لا تحتمل، لن تتوقف عن طرح الأسئلة. عندما دعاها إلى ماربيلا لمقابلة الفتاة التي ستصبح خطيبته، كما كان يتوقع منذ خمس سنوات، عمدت إلى تجربة صبره إلى أقصى الحدود. هو وليزا عليهما حل مشاكلهما بنفسيهما. وهما بحاجة لأن يكونا بمفردهما. قالت إيزابيلا بخيبة أمل بينما كان دييغو يوجهها نحو المنزل: «آه! فقط علاقة عمل. كم هذا ممل!».

تبعتهما ليزا على ساقين كالرصاص. ها هو دييغو يبعدها عن حياته، هذا واضح جداً، وبشكل مؤلم. لكن ماذا توقعت غير ذلك بعد الأشياء التي اتهمته بها؟

استيقظت على صباح بدا لها مليئاً بالوعود، كانت متأكدة أن بإمكانها استعادة الفرح والسعادة اللذين اعتقدت أنها فقدتهما. أما الآن فلم يعد هناك مجال للذهاب للتنزه على الشاطىء الذي تحدث عنه. لن يكون هناك حب وأحاديث، ولن يكون هناك مجال لتكتشف إن كان حقاً لا يزال يهتم بها.

انخفضت كتفاها، ولم تتمكن حرارة شمس إسبانيا على ظهرها من إذابة الجليد الذي أحاط بقلبها. إذا كان دييغو قد بدأ يؤمن أنه ما زال هناك شيء مميز جداً بينهما، فهي عملت وبدون شك على إبعاد ذلك بفتح فمها

الكبير وإلقاء التهم القاسية. من المؤكد أن هذا ما يفكر به بشأنها. وهي لا تستطيع أن تنهي هذه الحيرة وتسأله.

ليس بوجود إيزابيلا.

تبعت دييغو وإيزابيلا بصمت. جلست ليزا في مقعدها إلى الطاولة في الصالون الصغير، حيث أعدت روزا أطباق من البيض المخفوق والفطر، الخبز المحمص العادي، وكثير من الطعام الشهي.

صرّحت إيزابيلا بطريقة مسرحية: «أكاد أموت من الجوع».

تابعت: «الذنب كله ذنبي بالطبع. لم أستطع تناول أي شيء بعد أن صدقت أن حبيبي سيزار يخونني مع امرأة أخرى! كيف يمكن أن أكون سخيفة هكذا؟ سيغضب مني كثيراً. وأنا أرتجف منذ الآن».

لم تبدُ أنها متأثرة فعلاً من إمكانية حدوث ذلك، هذا ما فكرت به ليزا وهي تشعر بالإرهاق، بينما تناولت مكرهة قطعة من الخبز وبدأت بتفتيتها في صحنها. دييغو أيضاً لم تكن لديه شهية للطعام، قام بتقطيع حبة بندورة في صحنه وشرب عدة فناجين من القهوة.

نشطت نفسها لتقوم بأي مجهود كان. إنها غلطتها وحدها إن كان دييغو قد غسل يديه منها. عليها أن تتقبل ذلك لا أن تتخبط بالشفقة على نفسها بالجلوس هنا صامتة كأنها كتلة من البؤس.

سألت بإشراق مصطنع: «في أي وقت تتوقعين وصول زوجك، إيزابيلا؟».

أدركت أن دييغو سيتصرف بتهذيب مصطنع معها إلى أن يصبحا بمفردهما ثانية، بعد ذلك سيعمل على ترتيب مغادرتها في أسرع وقت ممكن.

كانت إيزابيلا قد انتهت من تناول البيض، وراحت تضع الخبز على اللحم المقدد. قالت: «دييغو؟ ماذا تعتقد؟ هل سيصل في منتصف النهار؟».

- ربما سيصل في وقت أقرب من ذلك.

يا إلهي! كلما كان الوقت أقرب كلما كان ذلك أفضل! لو كان لديه المزيد من الشجاعة في وقت سابق لأخبر سيزار أنه سيوصل زوجته المتهورة بنفسه إلى سيڤيل. لو أنه فعل ذلك، لتمكن على الأقل من القيام بعمل بناء، بدلاً من الجلوس هنا منتظراً، ومتجنباً النظر إلى ليزا. عندما ينظر إليها يشعر أن هناك معركة حقيقية بين يديه، فهو يريد أن يضمها بين ذراعيه ويعانقها حتى توافق أن تصبح زوجته.

أبعد كرسيه إلى الوراء بتوتر وحدة، ونهض على قدميه. بدا وجهه القاسي متجهماً. مسحت إيزابيلا فمها بالمنديل وقالت: «هل أنت في مزاج سيء؟ وهل أنا مزعجة؟ قل لي إذا كنت كذلك».

مالت برأسها بدلال، وابتسامتها تدل على أنها لا تصدق أنها قد تسبب الإزعاج لأي كان.

- إذا كان لديكما اجتماع عمل، أو أي شيء آخر، إذاً من فضلكما، تابعا أعمالكما. أنا لن أصغي إذا كان ما ستقولانه أمر سري.

أجاب دييغو بوقار: «بإمكان نقاشنا أنا وليزا أن ينتظر».

إلا أنه فكر بذلك الاقتراح؛ الاختلاء بليزا في اجتماع عمل مزيف في المكتبة، أمر شديد الإغراء. لكنه لا يستطيع الوثوق بأن أخته الفضولية السريعة الملل لن تقحم نفسها عليهما. من المحتمل أن تقوم بذلك في لحظة مصيرية. لذلك كل ما عليه أن يفعله هو أن يضبط صبره، ويطحن أسنانه بانتظار مغادرتها.

قال: «سأطلب من روزا أن تحضر إبريقاً من القهوة الطازجة، وتأخذه إلى الحديقة. سأنضم إليكما هناك بعد قليل».

راقبت ليزا خطواته الرشيقة، وارتفاع رأسه المتكبر الوسيم بينما كان يسير خارجاً من الغرفة، وشعرت بالدموع تحرق عينيها. هي تعلم أي نوع من النقاش سيجري بينهما.

هل سيتقبل اعتذاراتها القلبية؟ ربما... مع انحناءة رسمية باردة. لكن كل الاعتذارات في العالم لن تغير أي شيء، فالخسارة قد وقعت. موقفه

الحالي نحوها، وطريقته المتعمدة بعدم النظر إليها أكبر دليل على ذلك.

ربتت إيزابيلا على معدتها، وقالت: «انتفخت! سأنفجر عما قريب! هل نفعل كما طلب منا؟».

شبكت ذراعها في ذراع ليزا ما إن نهضتا عن الطاولة. وبينما كانتا تسيران إلى الحديقة الداخلية فكرت ليزا أنه في ظل أية ظروف أخرى لكانت تمتعت برفقة هذه المرأة المليئة بالحيوية. وكان بإمكانهما حقاً أن تصبحا صديقتين حميمتين.

توقفتا بجانب النافورة الرئيسية. غطست إيزابيلا أصابعها في المياه الباردة، وقالت: «دائماً أقول لدييغو إن عليه أن يضع بركة سباحة في هذا المكان، هكذا سيجد المرء على الأقل شيئاً يفعله هنا».

رفعت كتفيها الأنيقتين بنعومة، وتابعت: «لكنه يقول لي دائماً إن إضافة أي شيء حديث هنا لن يناسب... لا أدري ما نسميه بالإنكليزية».

أكملت ليزا عنها بلطف: «أتقصدين الجو؟ أعتقد أنه على صواب. يبدو هذا المكان القديم خارج الزمان، وأظن أن من الخطأ إفساد جوه».

- إذاً أنا خارج الموضوع. لا بد أن دييغو على صواب عندما يقول لي إنني بربرية!

ابتسامتها البيضاء الواسعة بدت مشرقة جداً وهي تتابع: «لكن بالطبع، لديه بركة سباحة في منزله الحديث قرب جريز. يفاجئني أنه لم يدعك إلى هناك لإنجاز عملكما، أو يحجز لك في فندق من الفنادق التي تملكها العائلة. هذا أمر طبيعي، فهذا ما يفعله عادة مع شركائه في العمل».

كانت عيناها الداكنتان ترقصان بسخرية مبطنة، مع ذلك تمكنت ليزا من أن ترفع كتفيها ببساطة كأنها لم تفهم ما الذي تقصده إيزابيلا بكلامها.

تراقصت الأنوار المشعة على سطح الماء، وكانت الشمس تسطع بقوة

على رأسها. أحست ليزا أن الطريق الحجرية تتمايل تحت قدميها، وأن الهواء المشبع برائحة الزهور المنتشرة فوق الجدران الحجرية القديمة والتي شعرت بها فجأة قوية جداً، قد سببت لها الدوار والغثيان. رفعت ليزا يداً مرتجفة إلى صدغها، وفكرت أنه كان عليها أن تجبر نفسها لتأكل شيئاً ما.

- آه! أنت مخطوبة وعلى وشك الزواج؟

هل بدت خيبة الأمل في صوت إيزابيلا؟ إنه أمر مستحيل، بالتأكيد! لا بد أنها تتخيل ذلك. عبست ليزا ما إن أمسكت الفتاة الأخرى يدها لتنظر عن كثب إلى خاتم بن. كانت قد نسيت أنها تضعه في إصبعها هو لا يشبه بشيء الخاتم الكبير المزين بالزمرد الذي ترتديه إيزابيلا.

سألت الفتاة الإسبانية بحماس: «إذاً، متى سيكون اليوم الكبير؟ هل ستتزوجين قريباً من رجل إنكليزي من بلادك؟ أم أن خطيبك شخص آخر. شخص... ربما أعرفه؟».

- عفواً؟

ظهرت الدموع في عيني ليزا وهي تحاول أن تستوعب العدد الكبير من الأسئلة، بينما أصيب رأسها فجأة بصداع لم تشعر بمثله من قبل.

أصرّت إيزابيلا على الموضوع، وعادت تسألها: «هل ستتزوجين من الرجل الإنكليزي قريباً؟».

ظهرت روزا من الجهة البعيدة للحديقة وهي تحمل صينية القهوة الطازجة، وضعتها على الطاولة تحت شجرة التين. قالت ليزا بقدر ما تستطيع من حزم: «نعم».

حاولت ألا تظهر حقيقة شعورها، وكم هي ضعيفة ومترددة. إنها كذبة سخيفة لا قيمة لها بالطبع، لكنها ستتمكن من كبح جماح الأسئلة المتشوقة المتطفلة. لأنها إن أجابتها بلا فهذا سيستتبع المزيد من التساؤلات بشأن فسخ الخطوبة، وأسباب وضعها لخاتم خطيبها السابق. تفسيرات لا تشعر أنها قادرة على القيام بها الآن. كانت تشعر بيأس قاتل حتى إنها لم تكن ترغب بالتحدث إلى أي كان عن أي شيء بعد اليوم.

أمرهما ديبغو بصوت عصبي وبشدة: «انتقلا إلى الظل».

جاء صوته وراءها تماماً ما جعل ليزا تقفز من جلدها.

هل سمع تلك الكذبة السخيفة؟ على الأرجح أنه فعل. ترنح قلبها في صدرها بسرعة لم تستطع أن تسيطر عليها. يمكنها أن تشرح له الأمر في ما بعد... بالطبع يمكنها ذلك. أدارت رأسها باحثة عن عينيه، لكنه كان يسير برفقة إيزابيلا إلى الطاولة.

لا بد أنه سمع ما قالته لإيزابيلا. لقد تلفظت بتلك الكذبة بتأكيد وحزم، وهو ليس أصم. من المؤكد أن هذا الأمر لم يزعجه البتة إذ كان يبتسم ويبدو مرتاحاً بشكل واضح وهو يمسك الكرسي لأخته.

بالنسبة إليه، يمكنها أن تذهب وتتزوج من الشيطان نفسه. لم تشعر ليزا يوماً أنها بائسة إلى هذا الحد...

شعر ديبغو بالألم في وجهه من كثرة الابتسام والتحدث مع إيزابيلا بثرثرة لا طائل منها، وشعر بالألم في قلبه بسبب ما سمعه.

أتراها ما تزال تخطط للزواج من كليتون؟ لن يسمح بحدوث ذلك! لا بد أنه أخطأ السمع. لا يمكن أن ينمو ذلك الحب والشوق بينهما إذا كانت تحب رجلاً آخر، فليزا ليست من هذا النوع من النساء.

إلا إذا...! فكرة غير مرحب بها أظلمت روحه، وجعلت دمه يجري في عروقه بارداً كالثلج: إلاّ إذا كانا قد اتفقا معاً على ذلك!

خطر إقفال المجلة، الديون المتراكمة على والديهما، فقدانهما لما يعتبرانه ميراثاً لهما، هذا بدون ذكر عملهما... كاد يسمع كليتون يقول لها: افعلي ذلك من أجلنا، ومن أجل مستقبلنا. افعلي ما يشاء، وفكري فقط بازدهار «لايف ستايل» ثانية. وعندما يبعدك عنه سنتزوج بكل الأحوال.

لا! لا! إنه كلام لا قيمة له مطلقاً!

لن يسير في ذلك النفق المظلم الذي سارت به ليزا قبل وقت قصير، عندما اعتقدت أن إيزابيلا هي زوجته. ومن خلال ما سمعته من روزا

يمكنه أن يفهم لماذا توصلت إلى ذلك الاستنتاج، لاسيما أنها مزجته مع سوء التفاهم الذي حدث منذ خمس سنوات.

بإمكانه أن يفهم ويسامح.

لكنها كانت تعانق كليتون وكأنها لا تستطيع الانتظار لتبقى معه بمفردهما.

تمنى لو أنه يستطيع نسيان ذلك المشهد الحار الذي جعله يشعر بالتشتت، تلك الصدمة التي تحولت بسرعة إلى مرارة وغضب. بكل الأحوال، ليزا لم تقم يوماً علاقة حميمة مع كليتون. هو يعلم ذلك بالتأكيد، وهو يراهن على ذلك بحياته.

يا إلهي! إن لم يستطع أن يبعدها إلى مكان ما يبقيان فيه بمفردهما في غضون الدقائق القليلة المقبلة سيصاب بالجنون! يريد أن يوضح كل الأمور. يريد أن يعرف إذا كانت مشاعرها نحوه عميقة وقوية كما هي مشاعره نحوها.

عينان ثاقبتان استقرتا عليها لفترة طويلة، أطول مما سمح لنفسه بالنظر إليها حتى الآن. رمقها بنظرات سريعة جانبية، وبسرعة أيضاً أبعدها عنها.

لاحظ أنها على غير عادتها، أضافت كمية من الكريما وعدة ملاعق من السكر إلى فنجان قهوتها. وشربت بعطش كوب الماء المثلج الذي قدمته لها روزا. بدت شاحبة من القلق عندما انضمت إليهما تحت الظل لكنها، والحمد لله، تبدو بحالة أفضل الآن.

إنه يحبها كثيراً، حباً يقارب العبادة. شعر بقلبه يتلوى في صدره! كانت تصغي إلى وصف إيزابيلا المفرح وهي تتكلم عن مباهج سيڤيل، مركزة بالتحديد على المتاجر الفخمة والمطاعم والنوادي الليلية؛ بلازا دو إسبانيا، والحدائق الغناء في ماريا لويزا بارك...

بذلت ليزا ما في وسعها لتظهر اهتمامها، فراحت تبتسم وتلقي بعض الأسئلة عندما تستطيع أن تتلفظ بكلمة، لكن عينيها الجميلتين بدتا

مضطربتين.

حان وقت التدخل. سيقدم اعتذاراته لإيزابيلا، وسيأخذ ليزا إلى مكان ما حيث لا يمكن لأحد أن يزعجهما... إلى الشاطىء، كما خطط منذ البداية. بإمكان إيزابيلا أن تضجر قدر ما تشاء حتى يصل سيزار.

أحست ليزا بنظرات دييغو عليها. شعرت بتلون خديها، وحاولت أن تركز على ما تقوله إيزابيلا. بدت المرأة الأخرى سعيدة، غير مدركة للقلق الذي يعتمل تحت المظاهر المصطنعة، وأنّى لها أن تدرك؟ تساءلت عمّا يفكر بها دييغو؟ تفاجأت عندما ظهرت روزا وهي تحمل هاتفاً نقالاً، وقدمته لها.

- لي؟

أي سؤال أحمق هذا! ولأي سبب آخر ستحضر روزا الهاتف لها؟

انقلبت معدتها بسبب إحساسها بالغثيان. أصرت على دييغو أن يترك رقم هاتف لدى والدها، فلعله أراد أن يتصل بها، فقط للتحدث معها. مع أنها كانت تعلم في قرارة نفسها أنه لن يفعل. بالنسبة إليه، إن كانت بعيدة عن عينيه فهي بعيدة عن أفكاره.

ارتجفت يدها ما إن أمسكت بالسماعة... هل حدث له مكروه؟ عاودها الصداع الذي تخلصت منه لتوها... عاد بقوة أكبر.

ما إن ذكرت اسمها بصوت كالهمس حتى سمعت صوت صوفي عالياً، واضحاً وممزقاً من التوتر.

- تعرض بن لحادث سير مروع، وهو في غرفة العمليات الآن. آخر ما قاله قبل أن يدخل إلى هناك: اطلبي من ليزا أن تحضر. أريد أن أراها. لذلك من الأفضل لك أن تنسي ما تفعلينه هناك.

تلوّن صوت صديقتها بازدراء واضح وهي تتابع: «أنت تدينين له بالكثير... وهو قد يموت جراء الحادث. لا أعتقد أنها مجرد صدفة أن يتحول رجل يقود دائماً بحذر لا مثيل له إلى نقيض ذلك بعد أن تخليت

عنه، أليس كذلك؟».

شعرت ليزا بالصدمة فلم تستطع الكلام. تحركت شفتاها من دون أن تنفوه بكلمة. بالكاد استطاعت استيعاب ما تسمعه. آه، بن العزيز! صديق عمرها الذي اهتم بها لسنوات وسنوات... ربما هو يحتضر. يجب ألاّ يحدث هذا.

بنبرة عصبية ذكرت صوفي اسم المستشفى الذي يعالج فيه، وتابعت بغضب: «قولي شيئاً، لِمَ لا تتكلمين؟ حتى لو قلت فقط آسفة!».

تنفست ليزا بسرعة وقد جعل القلق صوتها ضعيفاً. قالت: «قولي له إنني سأكون معه في أقرب فرصة ممكنة. سأستقل أول طائرة راجعة إلى لندن. وقولي له...».

طغت عاطفتها على صوتها لكنها تمكنت من المتابعة: «... ليتمسك بالحياة، وليتنظرني».

إن مات بن فسيكون الأمر صعباً عليها، لأنها ستخسر أخاً. كما أنها ستخسر صوفي التي كانت كأخت غالية لها. لأن هذه الأخيرة ستلقي اللوم دائماً عليها.

تعثرت وهي تنهض، وسقط الهاتف من أصابعها المتوترة. حاولت أن تبعد الرعب والخوف من صوتها، فقالت لإيزابيلا التي اتسعت عيناها من الدهشة: «اعذريني، عليّ أن أذهب».

ألقت نظرة سريعة باتجاه دييغو، ولاحظت أنه التقط الهاتف وكان يقول شيئاً ما لصوفي، فركضت بسرعة إلى غرفتها.

ما إن أصبحت هناك حتى راحت تتنفس بهدوء لتجبر نفسها على التفكير بطريقة صحيحة، علّها تستجمع قوتها. لا بد أن تطلب من أحدهم أن يوصلها إلى المطار، أو أن تطلب سيارة أجرة. والشيء الأكثر أهمية هو أن عليها أن تودع دييغو وأن تشرح له ما الذي يحدث.

تركته وهو يتحدث إلى صوفي الشديدة الاضطراب، فلا بد أنه علم بالأمر الآن. لن تكون هناك أية مشكلة معه.

مجرد التفكير في وداع دييغو جعلها ترغب في رمي نفسها على السرير والبكاء. فكرها المليء بالشك أعلمها أنها خسرته إلى الأبد. انهمرت الدموع على خديها الشاحبين ما إن بدأت تضع الأشياء التي رمتها على السرير في وقت سابق في حقيبتها المفتوحة.

كانت ترغب في أن تحظى بفرصة للاعتذار، لتقول له إنها ستندم على كل شيء بدءً من تصرفاتها السخيفة منذ خمس سنوات إلى موجة الغضب التي اجتاحتها بشكل مزعج، حتى آخر يوم في حياتها.

مجرد التفكير أن العلبة الصغيرة التي رأته يضعها في جيبه في قاعة الاستقبال في الفندق كانت تحتوي على خاتم أراد تقديمه لها جعلها تكره نفسها. تنهيدة كبيرة ولدت في داخلها، في اللحظة التي دخل فيها دييغو إلى الغرفة.

قفز قلبها، وكاد يتوقف عن الخفقان، ثم اندفع الدم سريعاً فيه بطريقة مؤلمة. بدا شديد التوتر، عيناه السوداوان تلمعان بشدة وكتفاه متوترتان بشكل واضح. بدا وسيماً ورائعاً. فكرت ليزا أنها فقدته إلى الأبد! قبل أن تتمكن من القول كم هي نادمة على كل شيء، قال دييغو ببساطة: «أنا آسف لسماع الأخبار السيئة. لا بد أنك وعائلته قلقون جداً».

الكلمات المتعاطفة التي صدرت عنه زادت من آلامها كثيراً. الإحساس بالذنب طعنها في قلبها، مذكراً إياها كم هي أنانية. فهي تبكي بسبب خسارتها للفرصة التي قد تجعل دييغو يقع بحبها ثانية، في حين أن صديقها العزيز يحارب من أجل بقائه حياً.

عاودتها ذكريات عن لطف بن الدائم، وعن مساندته المستمرة لها، واضعاً إياها تحت جناحه منذ وفاة أمها وهجران والدها لها. لطالما تشاركت وصوفي الضحك والتسلية من تصرفاته القديمة الطراز، لكن كان هناك دائماً حب كبير بينهم.

ملامح وجه دييغو الوسيمة لم تكن تحمل أية تعابير عندما سألها: «هل تحبينه؟».

الإحساس القوي بالذنب من التفكير فقط بمشاكلها الخاصة ويأسها القاتل جعلاها تقيّم كثيراً علاقتها مع الرجل الذي ستحبه حتى آخر يوم في حياتها، ما دفعها للقول بصوت كالنحيب خرج من بين شفتيها المرتجفتين: «بالطبع أحبه!».

لمعت عيناه بالألم، واستدار خارجاً من الغرفة. كان عليه أن يعلم... والآن أسوأ كابوس في حياته يحدق به وجهاً لوجه.

إلى متى كانت ستستمر بالتظاهر، تشاركه أيامه، حتى بعد أن قال لها إنها حرة بالذهاب؟ إلى متى كانت ستستمر بخطتها في جعله أحمق، لتحصل منه هي وبن على كل ما يستطيعانه؟ والآن ها هو الرجل الذي اعترفت بحبه يتصل بها وهو على فراش الموت...

عندما وصل إلى الباب استدار ليحدثها. لكن رؤية دموعها على الرجل الذي تحبه أصابته بألم بارد في صميم قلبه. أما الكلمات الأخيرة التي قالها لملاكه المخادع فكانت: «سيوصلك مانويل إلى المطار. ما إن تنتهي من توضيب حقيبتك، حتى يكون جاهزاً، وبانتظارك».

١١ - لعبة القدر

حالف الحظ ليزا في رحلة السفر، ومع ذلك كان الوقت متأخراً عندما أوصلتها سيارة الأجرة أمام المستشفى. راحت طيلة الوقت تصلي كي يتمكن بن من النجاة، وكي تكون العملية قد تمت بنجاح. جرت ليزا نفسها وجرت حقيبتها نحو المبنى الأساسي على ساقين متعبتين لم تصدق أنهما قد يحملانها.

حتى لو كان بن بصحة جيدة، وقادراً على استقبال الضيوف، فإن الوقت متأخر جداً لرؤيته. لكن على الأقل، يمكنها أن تطمئن عن حالته. من المؤكد أن هناك من يستطيع إخبارها، حتى لو لم تكن قريبة له.

لو أن دييغو معها لتمكن من الحصول على كل المعلومات المطلوبة، فهو من ذلك النوع من الناس الذين يملكون سلطة طبيعية في شخصيتهم. انعصر قلبها بألم... عليها أن تتوقف عن التفكير به. ذكرت نفسها بذلك وهي تراجع كل ما حدث معها. إن لم تفعل فسوف تتحطم إلى أشلاء.

اقتربت من الأبواب المزدوجة التي تفتح تلقائياً، ورأتهم هناك... جميع أفراد عائلة كليتون، هونور، آرثر وصوفي كانوا جميعاً متوترين. راح قلب ليزا يضرب داخل ضلوعها.

أدركت بعد اتصال صوفي أنهم يلقون اللوم عليها بشأن ما حدث لبن. عليها أن تواجههم بكل ما لديها من شجاعة. رفعت كتفيها ما إن ساروا باتجاهها، والتوى قلبها تأثراً عندما رأت عيني هونور الحمراوين وفم صوفي المرهق.

كانت تشعر بالرعب حقاً، متوقعة أن تسمع أخباراً سيئة. ظهر القلق في صوتها حين سألت: «كيف حاله؟».

أجابها والده: «كانت العملية ناجحة، والحمد لله. من المحتمل أن يصبح أعرج حتى آخر حياته، لكنه لن يفقد ساقه».

بدا صوته رصيناً بسبب التوتر، وكتفاه العريضتان منحنيتين.

- هل سيكون بخير، مع ذلك؟

أجابت والدة بن: «إنه نائم الآن. سُمح لنا فقط بأن ننظر إليه لعدة لحظات».

بدت هونور كليتون أكبر بعشر سنوات عن آخر مرة شاهدتها فيها ليزا، وذلك في حفلة الخطوبة.

- غداً، إذا سارت الأمور جيداً، سيسمح لنا برؤيته لعدة دقائق. كان ذلك، أقصد...

تلعثمت بالكلمات قبل أن تتابع: «كم هو رائع من قبلك أن تصلي بهذه السرعة».

ارتجفت ليزا ما إن حرك الهواء البارد تنورتها على جسمها. انحنت برأسها كرد على شكر هونور، لأنها لم تكن قادرة على الكلام. وأدركت فجأة ما الذي ترتديه.

مع أنها نوت أن تبدل ثيابها لترتدي بنطلون جينز وقميصاً ما، لكنها لم تعد تستطيع التركيز على ما تفعله بعد أن تخلى دييغو عنها ببساطة، من دون أن يعطيها فرصة لتقول له كم هي آسفة، في تلك التنورة الناعمة والقميص الجميلة لم تكن مستعدة أبداً لطقس إنكلترا البارد في الربيع.

قالت هونور محاولة لمّ الشمل من جديد: «حسناً! لا يمكننا الوقوف هنا لنصاب بالبرد. أقنعنا صوفي بالبقاء معنا إلى أن يتمكن بن من تجاوز محنته. وأنت أيضاً يمكنك استعمال غرفتك القديمة».

هزت ليزا رأسها بصورة لا شعورية. كيف يمكن لها أن تقبل بذلك بينما هم يلقون اللوم عليها لكونها السبب غير المباشر في حادث بن؟

تحدثت صوفي للمرة الأولى: «أرجوك وافقي! نريدك معنا. نحن حقاً نريد ذلك».

عيناها الزرقاوان التقتا بعيني صوفي المليئتين بالدموع، وسألتها: «أحقاً؟».

هزت صوفي رأسها بالموافقة بقوة. بدت متأثرة جداً ولا تستطيع الكلام. حلّ آرثر المشكلة، بحمله الحقيبة من يدها ووضع يده الأخرى على كتفها وهو يقول: «لنذهب إلى السيارة. لا جدوى من بقائنا هنا. فليس هناك ما نستطيع القيام به. وكل ما نحتاج إليه الآن هو شراب ساخن».

* * *

لطالما كانت هذه الغرفة غرفتها بعد وفاة أمها، وأثناء العطل المدرسية، حتى السنة الأولى لعملها في «لايف ستايل». لم يتغير فيها شيء على الإطلاق؛ أوراق الجدران الجميلة نفسها، الستائر نفسها، غطاء السرير المناسب لها نفسه، وقطع السجاد الصغيرة البيضاء الموضوعة هنا وهناك فوق الموكيت الأزرق الشاحب نفسها أيضاً.

كانت قد توقعت أن تكون الغرفة مختلفة تماماً، وأن تكون هونور قد غيرت طرازها بعد أن انتقلت هي وصوفي إلى شقة بالإيجار رغم معارضة بن، لأنهما كانتا ترغبان بالاستقلالية.

فتحت حقيبتها، لتبحث عن حقيبة تنظيف الوجه. شعرت بتعب كبير وبأنها مستنزفة عاطفياً، بالكاد تستطيع أن تعرف ما الذي تفعله.

مرت الأمسية بين الانشغال بالعمل والمشاعر المضطربة. انشغل آرثر بالرد على اتصالات الأصدقاء الذين يشعرون بالقلق على بن ويريدون الاطمئنان على صحته، أما هي وهونور فذهبتا إلى المطبخ لإعداد الشوربا وتسخين التوست، بينما أعدت صوفي الشاي للجميع، وقامت بالاهتمام بهم.

تركز الحديث على حادث بن: «من الواضح، أنه تفاجأ بشاحنة عند منعطف مغلق، فيما كانت عربة نقل تمر إلى جانبه».

ارتجفت هونور بعنف، كانت يدها ترتجف وهي ترفع فنجان الشاي

إلى شفتيها. تابعت: «وكما قالت الشرطة، لو لم يتمكن من الانحراف في اللحظة الأخيرة لكان الحادث أسوأ. لحسن الحظ أن سائق العربة لم يصب بأي أذى. لكن بن لم يكن يضع حزام الأمان. وأنا ببساطة لا أفهم ذلك، فهو دائماً سائق منطقي وواعٍ».

وبشكل محتم أيضاً، التقت عينا ليزا بعيني صوفي. وأدركت ليزا ما الذي تفكر به صديقتها القديمة. لكن الفتاة الأخرى ضغطت على شفتيها وهزت رأسها بينما كانت الدموع تنهمر من عينيها كالشلال.

بعد تناول الوجبة التي تم إعدادها كيفما اتفق على طاولة المطبخ، دفعت صوفي كرسيها إلى الوراء، ونظرت إلى ساعتها.

- أظن أن جيمس عاد الآن. كان يقوم بالمناوبة مكان الطبيب المسؤول الذي سيغادر. لم يشأ أن يذهب إلى هناك، لكنني طلبت منه الذهاب، إذ لا شيء يستطيع القيام به لمساعدة بن. إلاّ أنني وعدته أن أتصل به وأخبره بكل ما يحدث.

كتمت صوفي تنهيدة وغادرت المطبخ. ساعدت ليزا هونور على وضع الصحون في آلة غسل الصحون، ثم اعتذرت وذهبت إلى غرفتها. لكنها تمنت لو أنها لم تفعل.

الآن، عندما أصبحت بمفردها، عادت أفكارها إلى مأساتها الخاصة. كانت تعلم أن عملها هذا بمنتهى الأنانية، لكنها ببساطة لا تستطيع تبديل الأمر. ما الذي يفكر به ديبغو عنها؟ هل صدق تلك الكذبة الحمقاء التي سمعها؟ هل أساء فهم يأسها بسبب الحادث الذي أصاب بن؟

من الطبيعي أن تشعر باليأس، فبن هو صديق عزيز ومنذ وقت طويل جداً. لكن ديبغو لا يعرف القصة كلها، ولا يدرك كيف تمكنت صوفي من جعلها تشعر بالذنب اللعين، محملة إياها المسؤولية، مما ضاعف رغبتها بالعودة إلى إنكلترا على الفور لأن بن كان يسأل عنها. كيف له أن يعذرها وهو لم يعطها الفرصة لتشرح له أي شيء على الإطلاق؟

هل تبقى لها ولو زاوية صغيرة في أفكاره؟ هل قرر أخيراً أنه لا يريد أية علاقة بها بعد ما اتهمته به؟

- هل أستطيع الدخول؟

بعد لحظة من التردد دفعت صوفي بنفسها إلى داخل الغرفة، وبعد مرور ثانيتين كانت تضم ليزا إليها بعناق أخوي حار وهي تتابع: «إنني آسفة جداً، ليزي! فالذي قلته على الهاتف كان كريهاً. هل يمكنك مسامحتي؟».

- انسي ذلك.

تابعت ليزا بنفس قصير هو آخر ما تبقى لها: «سامحتك وانتهى الأمر. كنتِ منزعجة...».

- لا، كنت كريهة جداً!

أنكرت صوفي ذلك بسرعة. ابتعدت عنها قليلاً ووقفت وعيناها طافحتان بالدموع.

- كنت قلقة، بل كنت كالمجنونة لشدة قلقي، لكن هذا لا يعطيني الحق بأن ألقي اللوم على صديقتي المفضلة!

إنه الإحساس الأول بالدفء الذي شعرت ليزا به منذ أن استيقظت هذا الصباح! دفعت صديقتها صوفي دفعة لطيفة جعلتها تجلس على آخر السرير بينما أحاطت نفسها بالوسائد وقد شبكت ساقيها تحتها، تماماً كما كانتا تفعلان في الأيام الماضية حيث تجلسان معاً وتثرثران حتى منتصف الليل.

- عندما اعتقدت أن أخي التوأم سيموت، وطلب مني والدي أن أحصل على رقم هاتفك من والدك لكي أتصل بك وأخبرك أن بن يسأل عنك، ببساطة اندفعت بعنف ولم أبالِ. كنت سأخسر أخي، أو هكذا اعتقدت، وأنت كنت تتجولين تحت الشمس مع ذلك الإسباني الضخم. بدا لي ذلك أمراً غير عادل وخاطىء، إذ يبدو أنني كنت غاضبة جداً منك لأنك فسخت خطوبتك من بن.

تنفست صوفي بصوت مسموع قبل أن تتابع: «كنت أريد أن أبقيك في عائلتنا. لكن بن شرح لي الأمر، بعد أن قررت الرحيل إلى إسبانيا. قال إنكما كنتما ستعيشان زواجاً مملاً قاتلاً، زواجاً خالياً من العاطفة والشغف».

راحت صوفي تفتل حاشية كنزتها بين أصابعها، أكملت قائلة: «ثم عدت والتقيت بالحب الحقيقي الوحيد في حياتك، وحصلت على الجائزة الكبرى».

رفعت عينيها المتورمتين من البكاء معتذرة، وتابعت: «إنني مجنونة بحب جيمس، لذلك أنا حقاً أفهم ما الذي حدث معك».

قالت ليزا بلطف: «اصمتي!».

حاولت أن تبتلع غصة في حلقها. على الأقل، عادت إليها صديقتها المفضلة، وهذا أمر كبير يستحق أن تشكر الله عليه.

سألتها صوفي: «كيف تجري الأمور مع الإسباني العظيم؟ اعتقدنا أنه قد يأتي معك، لذلك جهزنا غرفة الضيوف تحسباً لحضوره. صممت أمي على بقائك معنا هنا وليس بمفردك في تلك الشقة البائسة».

تنهدت قليلاً وتابعت: «أتوقع أنك ستعودين سريعاً، ما إن يصبح بن بخير، ويزول عنه الخطر».

بتصميم قوي عمدت ليزا إلى تبديل الموضوع: «لا أهمية لتلك الأمور الآن... لنتحدث عنك وعن جيمس. أخبريني، ما أخبار ذلك المنزل الريفي؟ وهل ما زلت مصممة على إقامة الزفاف في منتصف الصيف؟».

لا مجال مطلقاً للتحدث عما جرى بينها وبين دييغو. ربما ستتمكن من التحدث عن الأمر مع صديقتها في ما بعد، عندما يصبح الألم أقل عذاباً... لكن بالتأكيد، ليس الآن.

* * *

مرّ يومان قبل أن يُسمح لبن برؤية الزوار. في صباح اليوم التالي تم نقله من غرفة العناية المركزة إلى غرفة خاصة، وأصبح بإمكان والديه

وشقيقته زيارته لمدة نصف ساعة. بدا أنه في تقدم مستمر، وهو مقيد في السرير مع قفص يغطي القسم الأسفل من جسمه.

أصبح الجو أكثر ارتياحاً في المنزل. غادرت صوفي من أجل دوامها المسائي في المجلة، أما ليزا وهونور فبقيتا في البيت لإعداد فطيرة التفاح المفضلة لآرثر بالإضافة إلى وجبة للاحتفال من اللحم المشوي. كان والد ليزا يتصل يومياً بعائلة كليتون ليتتبع آخر أخبار بن اليومية. تحدث معها مرة واحدة فقط، ليقول إنه سمع بعودتها وإنه يتمنى ألاّ يستاء رافاكاني بسبب مغادرتها. لم يقترح عليها أن يلتقيا، ولم تتوقع ليزا منه ذلك. ولأول مرة في حياتها، لم يكن هناك مكان في قلبها لخيبة الأمل.

اقتربت ليزا من سرير بن بخوف وذعر. لم تستطع أن تفهم لماذا كانت في أولويات أفكاره عندما اعتقد أنه سيموت. احتفظت بابتسامة على وجهها، واتسعت ابتسامتها عندما أعلنت بفرح كبير: «أنت أفضل حالاً مما كنت أظن».

انحنت لتعانقه، ووضعت الزهور التي أحضرتها على الخزانة بجانب سريره.

- ما كان عليك إزعاج نفسك.

وقال ذلك مشيراً بيده إلى باقات الزهور المنتشرة في كل مكان في الغرفة، وتابع: «كل ما كان عليك القيام به هو الحضور فقط».

- صحيح!

أخذت ليزا وقتها لتتمكن من إحضار كرسي إلى جانب سريره. في نهاية المطاف، طلب رؤيتها وعليه أن يخبرها لماذا. خشيت أن تسمع أنه كان مغرماً بها وبعمق طوال حياته، لكنه فعل الشيء الصحيح ووقف جانباً عندما استنتج أنها مغرمة برجل آخر.

لم يظهر بن مرة أية إشارة ولو صغيرة عن حبه، ما كانت لتوافق أبداً على الزواج منه لو أنها اعتقدت ولو للحظة واحدة أنه كان مغرماً بها بجنون. لكن بعض الناس ماهرون بإخفاء مشاعرهم الحقيقية.

قالت بهدوء ما إن جلست على كرسيها: «حسناً! أنا هنا الآن. أخبرني لماذا أردت رؤيتي عندما اعتقدت أنك قد تموت؟».

نظر إليها نظرة مستغربة، وبسرعة أنكر التفكير بمثل هذه الأمور: «من الذي تحدث عن الموت؟ بعض الناس يبكون وينتحبون ويفكرون بالأسوأ، لكنني كنت أعلم أنني سأكون بخير».

أصبح صوته مرتاحاً وهو يخبرها عن حالته الصحية.

- تعرضت لكسر في ساقي، وقد وضعوا بعض المسامير المعدنية فيها، لكن ما تبقى من جروحي هي بسيطة جداً. لذلك أجد أنني أكثر حظاً مما اعتقدته. المسألة هي أنني وقت وقوع الحادث كنت أفكر بسؤال والدك عن رقم هاتفك. وكان الموضوع لا يزال يدور في رأسي.

مدّ يده وأمسك بيدها، وربت عليها بود قائلاً: «كنت قلقاً عليك، وكنت أريد أن أعرف إن كنت بخير، وإن كان رافاكاني يعاملك معاملة جيدة. لدي فكرة واضحة عن شعورك نحوه، لكنني لم أكن متأكداً من شعوره نحوك. أقصد، جاء ذلك الشاب ليقول لك تعالي وعيشي معي... هذا ما كان يزعجني عندما أفكر في الأمر».

ابتسم لها بقلق، وتابع: «لقد اعتدت على الاهتمام بك. وكثيراً ما تصبح العادات جزء من شخصيتك. كنت أريدك أن تعرفي أن لا داعي للخوف من العودة إذا لم تسر الأمور كما تشائين. كنت سأعمل مع والدينا على إيجاد عمل مناسب لك وهكذا لن تخشي أن تكوني بدون عمل. أعترف لك أن أهلي تضايقوا جداً عندما علموا بفسخ خطوبتنا. شرحت لهم السبب ولم أذكر مطلقاً تهديد رافاكاني بفسخ عقد الشركة، لكنهم تقبلوا الأمر في النهاية. أردت أن تعرفي أننا جميعاً نرحب بك، إن احتجت للعودة».

قالت ليزا بصوت فرح: «أنت صديق جيد، بن... الصديق الأفضل».

امتلأت جوارحها بعاطفة كبيرة. رمشت بعينيها ولاحظت شحوب

وجهه، فشعرت بطعنة من الذنب لأنها سمحت له أن يتحدث كثيراً. تابعت: «علي الذهاب، فأنت تبدو متعباً. لقد جعلتك تتحدث لفترة طويلة. سأزورك غداً، إذا وافقت عائلتك على زيارتي».

نهضت واقفة. علمت أنها لو بقيت دقيقة بعد فسوف يسألها عن علاقتها بدييغو.

ليست مستعدة بعد للتحدث عن تلك العلاقة مع أي كان، حتى مع أصدقائها المقربين، من دون أن تجعل من نفسها حمقاء بالكامل.

لكن بن حرك رأسه على الوسادة، وقال: «لا تذهبي! فأنا مصاب بملل كبير. لن يأتوا ليطلبوا منك الرحيل قبل عشر دقائق أخرى».

بدا حزيناً جداً، فلم يطاوعها قلبها لتغادر. لكن عليها أن تبقي النقاش بعيداً عن علاقتها المدمرة مع دييغو وبأي طريقة كانت.

عادت وجلست على كرسيها، ثم قالت بسرعة: «إذاً، لدينا عشر دقائق لتخبرني لماذا بدأت تظهر نزعة إلى القيادة بسرعة جنونية. لطالما تذمرنا أنا وصوفي بشأن قيادتك، فكنا نشبهك بالمربية العجوز وهي في طريقها إلى التسوق! لم يفهم أي منا لماذا فعلت ما فعلته».

عبس بن وقد ظهر الإحراج على وجهه: «لن يحدث ذلك ثانية، صدقيني. عندما حصل الحادث كنت شارد الأفكار في كوكب آخر».

في كوكب آخر! قالت بنعومة: «هذا أمر جديد عليك، بن. فأنت دائماً تسير بخطى ثابتة».

غزا اللون الأحمر وجهه ثم قال لها: «ألا أعلم ذلك! لكنني لم أفكر يوماً أنني قد أقع في الحب... بمجرد نظرة إليها حدث ما حدث. اخترق حبها قلبي على حين غرة».

شعرت بالسعادة من أجله، فظهرت على وجهها ابتسامة حقيقية هي الأولى منذ أيام، فقالت: «بن، هذا خبر رائع! من تكون تلك الفتاة؟».

- سارة دايفيس.

لفظ اسمها بنوع من التبجيل، وتابع: «أنت لا تعرفينها، بالطبع. إنها

واحدة من المحررين الذين أحضرهم رافاكاني، وهي تكتب في قسم البيئة. إننا نتوسع بشكل دائم، ولم يعد اهتمامنا محصوراً فقط في الأزياء. فتلك المواضيع لم تعد ذات فائدة للمجلة، وقلة من الناس يهتمون بها. كذلك الأمر بالنسبة لأخبار المجتمع التي لا تخلق اهتماماً حقيقياً لمعظم القراء».

استجمعت ليزا قوتها وسألته: «وهل تبادلك هي الشعور نفسه؟».

آخر ما تريده هو أن تراه يصاب بالأذى. فبن كان حتى وقت قريب يسخر من فكرة الحب والرومانسية. وقد يسبب له الوقوع في الحب الأذى.

رفع بن كتفيه، وأجفل عندما شعر بألم في بعض جروح صدره.

- كيف لي أن أعرف؟ مع أنني عندما استجمعت شجاعتي وسألتها أن نتناول العشاء معاً بدت مسرورة بذلك. كان ذلك ليلة الحادث. هل تصدقين ذلك؟ كنت مشتت الذهن في تلك اللحظة، منشغلاً بالتفكير فيها، متسائلاً كيف سأتصرف. فلا خبرة لدي مطلقاً بمثل هذه الأمور، كما تعلمين. وهكذا اصطدمت بشاحنة كبيرة بيضاء. اعتقدت أنني قد أفسدت الأمر نهائياً إلى أن وصلني هذا.

أشار برأسه باتجاه بطاقة جميلة وضعت على الخزانة، وتابع: «اقرئي ما كتبته لي، وأعطيني رأيك في الموضوع».

- إنها ما زالت بانتظار موعد ذلك العشاء، وتتمنى أن تزورك ما إن يُسمح لها بذلك.

أكدت له ليزا ذلك بعد أن قرأت تلك الرسالة المفرحة. نهضت ووضعت البطاقة بين يديه قائلة: «لا أعتقد أنك أفسدت الأمر. في الواقع، أنا متأكدة من ذلك».

انحنت وودعته بعناق سريع، ثم قالت: «أما كيف ستتمكن من القيام بذلك، فلا تفكر بالأمر. فقط اتبع قلبك، وافعل ما يطلبه منك».

* * *

سار دييغو عبر الممر بخطوات واسعة، الجدران الحجرية للدير القديم

التي تلمع تحت ضوء القمر لم تخلصه من أفكاره التي تعذبه.

لم يكن هناك أي أمل بتحسن حالته. فلقاؤهما القصير الذي كان يفترض به أن يشفي الجراح القديمة، فتح جراحاً جديدة. جراح طرية مؤلمة لا تسمح له بأن يرتاح في النهار أو ينام في الليل.

قال لنفسه من قبل إنه يستطيع أن يضع كل ما حدث وراءه، فينساها، ويتابع مسيرة حياته. لكن ذلك لم يحدث! إنه لا يريد العودة إلى منزله في جريز، أو إلى متابعة أعماله، أو حتى البقاء هنا. يريد فقط أن يكون مع ليزا... إنه بحاجة إليها. مهما كانت أخطاؤها، فهو يريدها في حياته، يريد أن يقنعها أن بإمكانه أن يجعلها أكثر سعادة معه مما ستكون عليه مع كليتون.

ولكي يحقق ذلك عليه القيام بأمر جيد. عليه أن يذهب إليها ليحضرها إلى هنا، ويجعلها ترى ما معنى أن يكونا معاً. هذا هو قدرهما منذ أن رفعها على قدميها في ذلك الممر الجبلي منذ خمس سنوات، ومنذ أول نظرة إلى عينيها الجميلتين. لقد أصبح رجلاً ضائعاً منذ ذلك الوقت، وهو سيعمل جاهداً على إيجاد نفسه ثانية معها، ومعها فقط...

تأرجح على عقبي قدميه، وسار بخطوات واثقة نحو المنزل. راح يصعد درجتين في كل خطوة، وبدأ بترتيب حقيبته بوضع بعض الأشياء القليلة التي قد يحتاجها.

أول ما سيفعله في الغد، هو الصعود على متن أول طائرة متوجهة إلى لندن!

١٢ - وانتصر الحب!

بدأت معدة ليزا تزداد تشنجاً ما إن صعدت بسيارتها المستأجرة الطرق الجبلية الملتوية.

لا شك أنها تقوم بالعمل الأنسب. عليها أن تؤمن بذلك وإلا ستجد نفسها وقد عادت أدراجها متجهة مباشرة إلى سيڤيل.

نشرت على المقعد الأمامي بجانبها خريطة مفصلة للمنطقة، لكنها لم تشعر أنها بحاجة إليها فعلاً إلا عند بداية الرحلة من المطار. أحسّت كأنها تملك بوصلة داخلية تجذبها نحو منزلها، ونحو الرجل الذي تحبه.

خففت سرعة السيارة عند منعطف ضيق لتتمكن من مشاهدة المناظر التي تخطف الأنفاس. راقبت المنحدرات الجبلية التي تنتهي عند وادٍ عميق يخترقه نهر كبير، ورأت عدداً كبيراً من المنازل البيضاء المنتشرة هناك تحيط بها أشجار الكرمة والحامض والزيتون.

ما إن اتسعت الطريق قليلاً حتى بدأت بالنزول وازداد تشنج معدتها. أصبحت رقبتها وكتفيها مشدودة كالأسلاك من التوتر، وعلى الرغم من جهاز التبريد في السيارة بدأت ليزا تشعر بحبات العرق على جبهتها. بعد ميل أو أكثر ستصل إلى الدير وإلى دييغو.

لكنها تقوم بالعمل الصحيح...!

ما إن وصلت إلى منزل عائلة كليتون في هولند بارك بعد زيارتها إلى بن مساء البارحة، حتى أخذت الكلمات التي قالتها لبن ترن في رأسها بوضوح لا مفر منه: فقط اتبع قلبك، وافعل ما يقوله لك.

وقفت جامدة كأنها تمثال من حجر عند مدخل الباب تصغي إلى قلبها. عليها أن تعود إلى إسبانيا، وأن تجد دييغو، لتخبره كم تحبه. جاء

الصوت واضحاً ومليئاً بالإصرار.

توهج جسمها، وشعرت بكل عرق وكل عصب فيها، كل عضلة ووتر تستجيب إلى نداء لا مفر منه، وكأن دييغو يناديها من مخبئه وراء تلك الجبال البعيدة.

الآن ها هي ترى تلك التجربة الغامضة التي حدثت لها البارحة بطريقة جديدة. قد لا يكون دييغو في الدير القديم، لكن روزا ومانويل قد يستطيعان إخبارها أين تجده؛ سيعطيانها عنوان منزله في جريز ومكان عمله أيضاً.

هي تعلم أنها عندما تعترف له بحبها قد لا يستجيب لهذا الحب، وربما يقول لها بكل بساطة إنه غير مهتم لأمرها. عندها عليها أن تتقبل ذلك.

لو كان هذا هو موقفه، فهي تقوم بالعمل الصحيح. فهناك منطق عليها اتباعه. إذا تركت الأمور مبهمة، فهي لن تحصل على السلام الداخلي في فكرها.

الحياة دائماً محفوفة بالمخاطر والمجازفات. وإذا حدث شيء لها أو لدييغو لا سمح الله، قبل أن توضح له الأمور فلن تحصل أبداً على السلام.

بللت الدموع وجهها، ما إن أطفأت المحرك في الباحة الأمامية. أغمضت عينيها لفترة قصيرة، وأعطت نفسها بضع لحظات لتهدىء اضطراب أفكارها، قبل أن تمسح دموعها بنديل ورقي. خرجت ومددت أطرافها المتشنجة، ثم أخذت نفساً عميقاً، وسارت بعزم وقوة فوق البلاط الحجري باتجاه الباب الرئيسي.

شعرت بجفاف في فمها، وبدقات قلبها تضرب بعنف في صدرها. هل سيرفض السماح لها بالدخول؟ هل سيرفض الإصغاء إلى ما ستقوله؟ أتراها أقدمت على عمل أحمق؟

لا تفكري حتى بذلك، لا تقبلي بالهزيمة حتى تصبح أمراً محتماً، فكري بأي شيء آخر، أو لا تفكري نهائياً!

أخذت أشعة شمس بعد الظهر المتأخرة تتسلل عبر قميصها القطنية

الناعمة. في هذا الوقت من السنة تمتاز الأمسيات في الجبال ببرودتها المنعشة.

- سنيوريتا!

فتح الباب الكبير وأشرق وجه روزا الجميل بابتسامة كبيرة. تنفست ليزا وعملت ما في وسعها لتتمكن من رد الابتسامة بمثلها.

- سمعت السيارة. إذاً هذه أنت. . . ! هل ستبقين هنا؟

وضعت ليزا خصلة كبيرة من شعرها وراء أذنها، تنفست بهدوء وقالت: «لست متأكدة من ذلك».

أليست تلك هي الحقيقة؟ فمن الممكن أن تُرمى خارجاً في غضون ثانيتين فقط.

- لكنني أريد التحدث مع السنيور. هلاّ أخبرته أنني هنا، من فضلك.

- تفضلي بالدخول.

دعتها روزا للدخول إلى الفسحة الباردة في القاعة الكبيرة وتابعت: «سأبحث عن مانويل. فهو يجيد التحدث باللغة الإنكليزية. أنا لست مثله».

ليست هذه بفكرة سيئة، هذا ما فكرت به ليزا وهي تجلس على كرسي ثقيل منحوت وضع تحت النافذة الطويلة المواجهة للباب. تمنت لو أن اضطراب أعصابها لا يجعلها تشعر بكل هذا الغثيان.

في الوقت الذي ظهر فيه مانويل كانت ليزا تذرع الغرفة ذهاباً وإياباً، وفي فكرها رغبة بخرق الجدران، لتبحث عن دييغو بنفسها لأن هذا الانتظار بدأ يقتلها.

استدارت على عقبيها لمواجهته، وأعصابها تتفتت. قريباً جداً سترى حبها.

- قالت لي روزا إنك أتيت من إنكلترا لرؤية السنيور.

بدت ملامح وجهه الداكن متعاطفة وهو يتابع: «لكنه ليس هنا. لقد

غادر في الصباح الباكر من هذا اليوم قبل شروق الشمس».

- فهمت.

غادرها كل التوتر، ليحل مكانه إحساس عميق بالاحباط. لكن على الأقل، لا شيء يدعو للإحساس بالرعب. لقد توقعت ذلك تقريباً وأعدت نفسها لتقبل ذلك الاحتمال، أليس كذلك؟

- إذاً بإمكانك إعطائي العنوان حيث يمكن أن أجده؟

بدا لها كأنه يفكر في طلبها لوقت طويل، ثم ابتسم وقال: «ربما أستطيع القيام بأفضل من ذلك! ستعد روزا القهوة لك، وستحضرها إلى الصالون الصغير، أما أنا فسأقوم بالاتصالات المطلوبة. من الأفضل أن نعرف بصورة مؤكدة أنه في منزله، فمن المحتمل أن يكون ذهب إلى أي مكان في العالم، فأعماله المتشعبة تأخذه إلى أماكن عديدة ومختلفة».

أشعرتها هذه الفكرة بالغثيان.

باندفاع وتهور، أمسكت ليزا بذراع مانويل ما إن تحرك ليغادر. كانت عيناها مليئتين بالتوتر، وكانت يدها التي تمسك بذراعه ترتجف قليلاً، قالت له: «أحب أن أتناول القهوة. فلقد قدت السيارة لمسافة طويلة جداً، لكن هل يمكنني أن أتناولها مع روزا في المطبخ؟».

بدت عينا مانويل لطيفتين وقال: «بالتأكيد. تعالي معي. ستشربين القهوة بينما أجري الاتصالات».

كان المطبخ الكبير مغطى بالأحجار الناعمة وهناك مدفأة كبيرة على إحدى جدرانه. غير أن الجو العام بدا عائلياً، مع اللحم المقدد، والأعشاب المجففة المعلقة في النوافذ الكبيرة، ورائحة القهوة التي تجعل كل شيء مباركاً.

تحدّث مانويل مع زوجته بالإسبانية، ثم استدارت روزا قرب الفرن الكبير وهي تحمل وعاء القهوة في يدها وقالت: «بالتأكيد».

ابتسمت روزا كإجابة على كل ما قاله زوجها، ثم وضعت القهوة على طاولة خشبية ضخمة قرب زهرية من الورود الصفراء.

تابعت روزا تحدّث ليزا: «كلنا سنشرب القهوة! هل تريدين الجلوس، سنيوريتا؟».

جلست على الكرسي التي أشارت روزا إليها، وأغمضت عينيها المتعبتين للحظة، ساعدها الجو الهادىء المريح لترتاح قليلاً. أحضرت روزا ثلاثة فناجين من القهوة وصحناً من الحلوى، وأمسك مانويل بقائمة واقترب من الهاتف المثبت بالحائط، وبدأ بالاتصال.

شربت ليزا القهوة الشهية ورفضت تذوق الحلوى. تمنت لو تستطيع تفهم النقاش الدائر مع مانويل بعدما أجرى ثلاثة اتصالات منفصلة. من الواضح أن ملاحقة دييغو أصعب بكثير مما اعتقدت وتمنت.

رغب مانويل في ضرب الحائط وهو عائد ليأخذ فنجان قهوته عن الطاولة. رفع كتفيه بتعب، وقال: «لقد اتصلت بمكتب السنيور، وهو ليس هناك. أخته لم تره منذ أن غادرت من هنا مع زوجها. ومدبرة منزله هي الوحيدة التي أعطتنا معلومات قد تفيدنا بشيء».

مدّ يده الفارغة كأنه يريد القول إنها لا تستحق المعاناة ثم تابع: «اتصل السيد بمنزله في منتصف هذا النهار ليطلب منها أن تلغي موعد العشاء الذي كان متفقاً عليه مع والديه الأسبوع القادم... هذا كل شيء. لم يقل إلى أين سيذهب. فقط قال إن لا فكرة لديه متى سيعود».

* * *

بدا اليوم رائعاً، لكن ليزا لم تستطع أن تستمتع به. فشيء ما بداخلها قد مات. قد يكون دييغو في أي مكان في العالم. ها هو قد استعاد حياته المليئة بالعمل والنجاح، وهو لا يحتاج إليها في حياته.

البارحة، وفي وقت متأخر من بعد الظهر، أقدمت ليزا على شكر روزا ومانويل لمساعدتهما ولم تستطع أن تخفي خيبة أملها، وهمت بالرحيل.

لكن مانويل جادلها بحزم عن رغبتها بالعودة إلى سيڤيل، مشيراً إلى أنها قامت برحلة طويلة بقدومها من إنكلترا، وأن الظلام سيحل بعد قليل،

وأن بإمكان روزا أن تعد لها غرفة بسرعة في الجناح الذي كانت تقيم فيه. أصر أنه لن تكون هناك أية مشكلة في ذلك.

لذلك بقيت ليزا وأمضت الليل هناك، على الرغم من حاجتها للابتعاد عن هذا المكان الجميل حيث كانت سعيدة ومليئة بالأمل ولو لفترة وجيزة جداً. إن قضاء الليل هنا أمر منطقي، لكنها تمنت لو لم تنم حتى ساعة متأخرة بسبب الساعات الطويلة المليئة بالقلق والتعب.

رتبت غطاء سريرها بسرعة، وأعادت الأشياء التي احتاجت إليها إلى حقيبتها، ثم حملتها وتوجهت إلى سيارتها المستأجرة.

كانت قد ودعت روزا ومانويل، وشكرتهما أثناء تناولها الفطور المتأخر الذي أصرت مدبرة المنزل على تحضيره، وعرض عليها مانويل أن يحاول معرفة مكان دييغو لأجلها.

بإمكانه أن يتصل بوالدي السيد، لماذا لم يفكر بذلك من قبل؟ فهناك أمل ولو ضئيل. فالسنيور لا يخبرهما ما الذي يفعله، لكن قد يكونان على علم بمكانه، مع أنه يشك بذلك. ألم تخبره مدبرة المنزل في جريز أن السنيور كلفها أن تبلغهما رسالته؟ هذا يعني أنه لم يتكلم معهما بنفسه، أليس كذلك؟

مهما يكن، سيحاول من أجل السنيورة.

للأسف ظهرت هناك مشكلة في إجراء الاتصال، إذ يبدو أن الهاتف معطل. هذا يحدث دائماً! قال مانويل ذلك وهو يرفع كتفيه مستسلماً.

وهكذا خاب الأمل الضئيل الأخير الذي كان سيوصلها إليه، ولم يعد هناك مبرر لوجودها هنا.

أدارت محرك السيارة، وقالت كلمات الوداع بصمت. لن تكون هناك نهاية سعيدة في حياتها، وعليها أن تعيش مع ذلك. عليها أن تواصل حياتها، تماماً كما يفعل هو.

* * *

أجبر دييغو نفسه على السير ببطء ما إن أخذت الطرقات تزداد حدة في

انعطافها، فأخذت عجلات سيارته تتهادى على الطريق الناعمة. فهو لا يرغب بالانتحار؛ إنه فقط على عجلة من أمره!

أفرغ جام غضبه بإطلاق سيل من الشتائم. بدت ملامح وجهه قاسية ومضطربة، فكل شيء يعمل ضده. تذكر ما قاله لليزا منذ خمس سنوات؛ قال لها إن حبه لا نهاية له، وهو يعني ذلك تماماً.

عليه أن يجدها ويبرهن لها عن حبه، طالباً منها أن تعطيه فرصة جديدة. يريدها أن تفهم أن بإمكانها أن تجد السعادة معه كزوجة له وليس لكليتون. تحولت هذه الفكرة إلى مشكلة وكابوس دائم له.

وصل البارحة في منتصف النهار إلى شقتها، ولم يحظَ بأي جواب. وبعد الاتصال بوالدها، أخبره أنها تقيم عند عائلة كليتون في هولند بارك، إلى أن يزول الخطر عن بن. بدا له موقف الرجل العجوز مدافعاً، كأنه متردد بإخباره عن مكان ابنته.

أثناء وجوده في سيارة الأجرة التي أقلته إلى هولند بارك، أصيب بالاحباط بسبب ازدحام السير الكبير. وما إن وصل إلى هناك حتى بادرته صوفي، توأم منافسه، وهي تنظر إليه بحدة: «أين ليزي؟».

- هذا تماماً ما أريد معرفته.

أتراها لا تزال جالسة قرب سرير كليتون، تمسح جبهته، وتطعمه العنب وتعانقه؟ مجرد التفكير بذلك أثار غضبه.

- هي ليست معك، إذاً؟

- من الواضح أنها ليست معي.

أمضى وقتاً صعباً هناك، محاولاً أن يتمسك بآخر ما لديه من صبر. سألها: «لمَ يجب أن تكون معي؟».

- لأنها سافرت إلى إسبانيا هذا الصباح لتراك. قالت إنه ما زال لديها أعمال غير منتهية معك. اسمع! هي لم تخبرني بأي شيء، لكنها قالت إنها لا تعرف متى ستعود. بن في صحة جيدة، لذلك أعتقد أنها تظن أن لا حاجة لها هنا.

فتحت الباب جيداً وتابعت: «هل تريد الدخول؟».

أجبر نفسه على الابتسام وقال: «لا، لا! شكراً لك».

أكمل بعد أن فكر للحظة: «هل ما زالت خطوبة ليزا لبن مستمرة؟».

حدقت صوفي به كأنه يتلفظ بكلام مجنون، بعدها قالت: «لا! بالطبع لا! اعتقدت... أنك أنت من بين كل الناس تعرف ذلك».

دفعه كلامها إلى مزيد من التفكير؛ تماماً كما أتى إلى لندن ليجدها، طارت هي إلى إسبانيا باحثة عنه. من المحتمل أن طائرتيهما مرتا بقرب بعضهما في اتجاهين متعاكسين! هذا يعني أنها لم تتخلَ عنه بسبب تصرفه الفظ في الساعات الأخيرة التي أمضياها معاً.

كما أن خطوبتها من كليتون ما زالت مفسوخة. لماذا إذاً قالت لإيزابيلا إنها ستتزوج قريباً من الرجل الذي تضع خاتمه في إصبعها؟

لا بد أنه اعتذر من صوفي وهو يغادر، لكنه لا يستطيع تذكر أنه فعل ذلك. كل ما يتذكره هو أنه عاد إلى الشارع، منادياً سيارة أجرة لتعيده إلى المطار، واستعمل هاتفه النقال ليتحدث إلى مانويل كي يطلب منه أن يبقي ليزا هناك حتى عودته.

كان الخط مشغولاً، وبقي كذلك لمدة عشرين دقيقة أخرى. حاول ثانية عندما وصل إلى المطار، وكاد ينفجر من الغضب والإحباط لأن الخط كان مقفلاً. لم يعد هناك من اتصال بالدير. عندما تجد ليزا أنه رحل، ولا أحد يعلم أين مكانه. فلا بد أنها ستحاول العودة والرحيل. فكر أن لديه خياران لا ثالث لهما: الجلوس على عتبة باب آل كليتون حتى تقرر العودة، أو العودة إلى إسبانيا، متمنياً أن يجدها هناك بانتظاره. حتى لو غادرت منزله، ربما تكون قد أخبرت مانويل وروزا عن مكان وجودها، سواء عادت مباشرة إلى منزلها أو إلى مكان آخر.

كان دييغو يعيش حالة صعبة من التوتر، بحيث لم يعد يستطيع البقاء حيث هو. حجز مقعداً على أول طائرة مغادرة إلى سيڤيل، ثم توجه إلى قاعة الانتظار آملاً أن تكون ليزا في تلك الطائرة القادمة إلى لندن.

لكنها لم تكن!

والآن ها هو يتأمل وقد أصبح على بعد عدة أميال فقط من الدير، أن يجدها هناك. أخذ يفكر كيف سيعيش بانتظار أمل بعد أمل. كانت أفكاره منشغلة جداً مما أجبره على الضغط على المكابح بقوة كي لا يصطدم بسيارة قادمة بالاتجاه المعاكس. تباً! كان السائق يقود سيارته عبر المنعطف الضيق بسرعة جنونية. بعض الناس يجب ألاّ يصعدوا وراء المقود!

لم يكن هناك مجال يسمح لدييغو بأن يمر، فالطريق ضيقة جداً. على السائق الآخر أن يتراجع، وبسرعة، فهو على عجلة من أمره!

ظهر الضيق على وجهه الذي كساه الشعر النابت بعد ليلة البارحة المضنية. خرج من السيارة، وسار خطوتين واسعتين و... توقف قلبه عن الخفقان.

ليزا!

شعر بقلبه يضطرب ثم يذوب وهو يراقبها تفتح الباب من جانبها. وببطء تدلت ساقاها على الأرض. وقفت وقد رفعت وجهها إليه. بدت شاحبة، تحيط بعينيها الجميلتين ظلال سوداء، شعرها أشعث وخصلاته متدلية بأشكال مختلفة حول وجهها. ارتجف فمها ما إن التقت عيونهما... لم يشعر دييغو في حياته بهذا الفيض من مشاعر الحب كما يشعر الآن.

تلك النظرة التي ظهرت في عينيها، وذلك الاضطراب الذي علا وجهها الملائكي، جعلاه يضع يده على غطاء السيارة ليقفز بخطوة واحدة فقط كي يصل إليها. خطوة واحدة كبيرة وإذا به يمسك بها بين ذراعيه ويضغطها بقوة إلى قلبه. أصدر صوتاً وهو يشعر بارتجاف جسمها الناعم.

اقتربت منه ليزا أكثر، ووضعت ذراعيها حول عنقه، ورفعت وجهها الجميل إليه. ما إن رأى الدموع في عينيها حتى شعر بقلبه يتلوى. يجب

ألاّ يكون هناك حزن في حياتها... ليس بعد اليوم... لن يسمح بحدوث ذلك لها أبداً!

- دييغو!

قال بقوة، وبلهجة آمرة: «صه! لا حاجة للكلام. فقط هذا».

وأخفض رأسه وعانقها.

شعرت ليزا أنها في الجنة. تسلل الفرح إلى كل عصب وكل شريان في جسمها، مخترقاً خلايا جسمها كلها.

رفع يده ليلمس شعرها، فشعرت بتوتره وقوة أحاسيسه وهو يقول: «ستتزوجين بي... وستنسين كليتون... ستنسين أنك عرفته يوماً. لو لم يكن مستلقياً في السرير في المستشفى بسبب جروحه، لضربته حتى يصبح كالعجينة».

عاد يعانقها برقة كأنه يؤكد لها ما قاله. انفجرت ليزا بالضحك ونظرت إلى وجهه لترى رأسه ذا الشعر الأسود يتراجع إلى الوراء، والغضب يلمع في عينيه السوداوين.

- هذه ليست مسألة مضحكة. أنت لي، وأنا رجل متملك. وأنا أقصد تماماً ما أقوله. أتقدم طالباً يدك للزواج وأنت تضحكين!

كبرياء رجل متفاخر قد أهينت! أكمل بغضب: «لكن هذه المرة لن أدعك حتى أضع خاتم الخطوبة في إصبعك، لن يكون لك مهرب مني بعد ذلك».

- لا مشكلة في ذلك، فأنت لن تتمكن من التخلص مني بعد اليوم.

أكدت ليزا له ذلك وهي تبتسم ابتسامة عذبة وتتابع: «دع المسكين بن خارج نقاشنا. لقد خطبت له لعدة ساعات فقط. ولا رغبة لي مطلقاً بالزواج منه، ولا داعي لتغار منه. وطلبك عندي هو تحقيق لرغبتي».

أضافت ذلك وهي تمازحه. شعرت بالأمان الآن لأنها لم تخسر حب حياتها. كان هذا الحب مضللاً لفترة فقط.

امتدت يداه النحيلتان على كتفيها. رفع حاجباً أسود وهو يسألها:

«إذاً لماذا عرضت خاتمه متباهية به أمامي، وقلت لإيزابيلا إنك ستتزوجين منه قريباً؟».

وقرر في قرارة نفسه أنه قد سامحها منذ الآن، ومن دون أن يعلم ما فكرت به في ذلك الوقت. ألم تعد إلى إسبانيا باحثة عنه؟ مع أنها لم توافق رسمياً على طلبه، إلا أنها قالت إن طلبه تحقيق لرغبتها، كما أنها لم تستطع إخفاء ما تشعر به نحوه عندما عانقها!

عاد لونها إلى حالته الطبيعية وهي تتذكر كم كانت حزينة ويائسة هذا الصباح. نظرت إليه مباشرة وهي تقول: «كان ذلك عملاً غبياً مني. لكن في ذلك الوقت بدا لي الطريقة الأسهل لإسكاتها. كنت يائسة جداً ومتأكدة أنك لا تريد أية علاقة بي بعد كل تلك الاتهامات التي رميتك بها. لم أكن أستطيع أن أشرح لإيزابيلا أنني كنت أضعه من أجل الحفاظ عليه فقط. كانت أختك لتسأل المزيد من الأسئلة».

- لم تتعلم إيزابيلا كيف تسكت منذ اليوم الذي تعلمت فيه الكلام! بالإضافة إلى ذلك، فأنت ما كنت تطيقين انتظاراً للمغادرة عندما علمت أن بن قد أصيب بجراح خطرة. وعندما سألتك إذا كنت تحبينه قلت إنك تفعلين. لا يمكنك أن تتخيلي ما الذي شعرت به بسبب ذلك.

همست بتأثر، ورفعت يديها لتلمس وجهه النحيل الوسيم قائلة: «آه! بل أستطيع. عندما فكرت أنك أدرت ظهرك لي تشتت كل عالمي، حبيبي. أنا حقاً أحب بن، لكنني أحبه كأخ لي، لا كما أحبك».

تنفس بقوة، ولمعت عيناه وهو يقول آمراً: «قولي ذلك ثانية. قولي إنك تحبينني!».

- ولأي سبب آخر أنا هنا؟ كنت أعلم أنني لن أستطيع مواصلة حياتي بدون أن أقول لك إنني أحبك بعمق شديد. لكنك لم تكن هنا. أين كنت؟

شعر أنه لم يعد بحاجة لأية مواساة. طبع دييغو قبلاً ناعمة على يدي ليزا وتمتم هامساً: «في لندن، باحثاً عنك. أنا أيضاً، كان عليّ أن أقول

لك إنني أحبك أكثر من حياتي كلها».

أكمل وهو يعانقها: «نحن نقطع الطريق، ملاكي. يجب أن نذهب. انتظريني في سيارتي، وأنا سأركن سيارة السيت في مكان آمن».

ما إن قال ذلك حتى أصبح وراء المقود، وأخذ السيارة الصغيرة مع سحابة من الغبار. وفي غضون دقائق قليلة كان يسير عائداً إلى حيث كانت لا تزال واقفة في مكانها، وقد تجمدت بسبب سحر ما يجري معها.

دييغو يحبها! وهي ستصبح زوجته! ستبقى معه إلى آخر يوم في حياتهما. كيف يمكن لأي شيء في العالم أن يكون أفضل من ذلك؟

بكل ثقة بالنفس، فتح دييغو الباب الجانبي لسيارته، وساعدها بلطف لتجلس قربه، واضعاً إياها في جو من البرودة المثالية قبل أن يسير خلف السيارة ويصعد وراء المقود. قال لها: «لقد وضعتها في مكان مناسب، وستبقى هناك».

من دون أن يفكر أن عليها أن تعيدها إلى مكتب التأجير في المطار.

- وأنت، حبيبتي الأغلى، لن تذهبي إلى أي مكان. وهذه المرة سأبقيك هنا. فتصرفي السيء أصبح شيئاً من الماضي.

وضع يده على مفتاح المحرك، ثم استدار نحوها وعيناه تطفحان بالنعومة واللطف: «مرت السنوات الخمس وطيفك يلاحقني ويعذبني، وعندما رأيت أنني أستطيع الحصول على ما هو حق لي من خلال الانتقام، فعلت ذلك. هل يمكنك مسامحتي؟».

اعترفت ليزا بصدق: «لا أستطيع إلقاء اللوم عليك لأنك فكرت بي بشكل سيء. لقد تصرفت منذ خمس سنوات كفتاة مدللة فاسدة. رأيتك مع تلك المرأة الرائعة الجمال مرتين. مرة وأنت ذاهب إلى متجر المجوهرات ومرة ثانية في ردهة الفندق. اعتقدت أنك تخليت عني لأجلها، وأنك لم تقصد ما قلته عندما قلت إنك تحبني. قمت بتصرف طفولي كي أنتقم منك».

أمسك بيديها وطبع قبلاً على راحتي كفيها، قال: «عزيزتي، هذا كله

أصبح منسياً الآن. لكنني أريد أن أسمعك تقولين إنك سامحتني على تصرفي السيء. كنت أريدك كالمجنون، وكنت أعلم أنك تكنين لي المشاعر، لذلك قررت أن أجعلك تتوسليني. فكيف لك أن تحبي شخصاً متوحشاً هكذا؟».

أجابت والصدق يطل في عينيها: «كيف يمكنني أن أتوقف عن حبك؟ كما أنك أعطيتني الخيار عندما أصبحت الأمور جدية بيننا. أتذكر؟ لذلك لا يمكن أن تكون سيئاً!».

ابتسم لها تلك الابتسامة التي تحول ركبتيها إلى ماء، وأدار المحرك وانطلقا.

* * *

كاد الظلام يحل، كان هناك ضوء ناعم أرجواني ينتشر فوق الجبال. راقبت ليزا ظهور النجوم من الشرفة، وهي تتساءل إلى أين ذهب دييغو.

استحمت وبدلت ثيابها كما اقترح عليها، وارتدت بعناية فائقة واحداً من الفساتين الجميلة التي لم تتوقع أنها ستراها ثانية. اختارت فستاناً من الحرير بلون العسل يناسب جسمها تماماً، وتركت شعرها متدلياً على كتفيها.

- تعالي!

وقف دييغو وراءها وقد وضع يديه بخفة على كتفيها، وأدارها لتنظر إليه. لم تسمعه يقترب، فشعرت بقلبها يقفز بين ضلوعها.

قال بصوت أجش: «أنت جميلة جداً».

بدا هو أيضاً وسيماً، وقد ارتدى سترة بيضاء تحتها قميص من الحرير الطبيعي وبنطلون أسود اللون، ما جعله يبدو رائعاً في هندامه ووسامته.

كالحلم سمحت له بأن يقودها إلى البيت بصمت. وعندما فتح باب غرفة الجلوس لمعت عيناها بالفرح.

كانت الغرفة ذات الضوء الشاحب مليئة بالزهور؛ لا بد أن هناك من جرد الحديقة والباحة الأمامية من الزهور ليملأ بها المكان. كما كان هناك

شراب بارد وموسيقى ناعمة تنبعث في أرجائه.

بدون أية كلمة، قادها دييغو إلى الأريكة الكبيرة حيث وضعت الوسائد الحريرية على شكل عرش كبير وأجلسها بينها، وبحركة شبه مسرحية ركع على ركبة واحدة وأمسك بيدها.

اصطبغ وجهه بلون داكن مؤكداً حيويته واندفاعه، وجاء صوته مليئاً بالعاطفة القوية وهو يقول: «ليزا، هل تتزوجين بي؟ موافقتك ستجعلني أسعد رجل في العالم».

شعرت بغصة كبيرة في صدرها، ولم تستطع الكلام في البداية. رفعت اليد التي كانت تمسك بيدها بقوة إلى وجهها بتأثر كبير حتى أصبحت قادرة على الهمس وقالت: «نعم. آه! نعم، حبيبي!».

مرت لحظات لم يتحرك أي منهما، بعد ذلك ابتعد دييغو عنها قليلاً، ووضع خاتماً في إصبعها، فالتمعت حبوب الزفير التي تزينه تحت الضوء الخافت.

- هذا هو الخاتم الذي اخترته لك منذ خمس سنوات. وها هو الآن في المكان الذي ينتمي إليه.

لمعت عيناها بدموع الفرح، وأخذ دييغو وقته ليبعد تلك الدموع بأصابعه برقة.

توقف عندما أمسكت أصابعها برسغ يده وقالت بفرح: «أنت... لم ترمها إذاً».

- أرمي ماذا، ملاكي الغالي؟

- الساعة!

فقد رأت لمعان ساعته الذهبية.

للحظة بدا عليه الارتباك. بعد ذلك ابتسم وعانقها بعاطفة قوية قبل أن يعترف قائلاً: «كنت أضعها في يدي دائماً. فقط عندما ذهبت إلى لندن في مهمة الانتقام وضعت مكانها ساعة رهيبة رخيصة اشتريتها من المنطقة الحرة في المطار. لو أنك رأيتها لعلمت أنك ما زلت في قلبي، ولم تغادريه

قط. وفي ذلك الوقت لم يكن إعطاؤك تلك المعلومة من برنامج عملي».

- فهمت!

لمعت عيناها بالشوق إليه، وهي تقول: «لطالما تساءلت إن كنت قد نسيتني حقاً. من جهتي لم أستطع اقتلاع حبك من قلبي لحظة واحدة رغم غضبي منك».

ابتسم لها وهو يضمها إليه بقوة ويقول: «من الآن فصاعداً، صدقي قلبك حبيبتي، وافعلي ما يقوله لك. وهذا ما سأفعله أنا».

www.rewity.com
marmoria5555